14.00

قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة

• العنوان على الانترنت WWW. akhbarelyom. org\ketab • البريد الالكتروني akhbar el yom@akhbarelyom. org

> قطاع الثقافة جسهورية مصر العربية ٢ شارع الصحافة القامرة تليقون وفاكس : ۲۰۹۰۹۳۰

الدكتورعبدالصبورشاهين

قديماً .. قديماً .. قبل أن يخلق الزمان .. كان الله ولا شيء معه .

ثم أراد الله أن يخلق الخلق ، أو الكون ، فقال : كن ، فكان ماأراده الله زمانا ، ومكانا .. سموات وأرضين ، ومجرات ، ونجوما وكواكب ، ودواب.. وما لا نعلم من الموجودات التي أنجزتها القدرة الكُنْيَّة .

ثم أراد الله أن يوجد المخلوق العاقل المؤهل للمعرفة .. فكان الإنسان ..

ولعل هذا هو المعنى بما جاء فى الحديث القدسى الذى حفظناه فى صغرنا ، والذى يقول الله عز وجل فيه عن نفسه : (كنت كنزاً مخفياً ، فاردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبى عرفونى)(١) ـ أو كما قال ..

فأما الزمان والمكان فقد خلقا لتحديد ماهية الأشياء ، وقد جعلهما الخالق سبحانه على مرتبتين : غيب ، وشهادة ، وإذا كان عَالَمُ الغيب قد احتجب وراء أستار الزمان والمكان ، لا يعلم حقائقه إلا موجده سبحانه تفون عالم الشهادة يحمل في تفاصيله ملامح ما مضى من الغيب النسبي ، وهكذا وهو أيضاً دال على وجود الخالق .. الغيب المطلق .. أو غيب الغيب ، وهكذا نرى حقيقة وجود الله في تصاريف قدرته : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَت الله كُنُ يُحْي الأَرْض بَعْد مُونها . . () ﴿ الروم] .. أي : كاننا - وقد احتجب عنا ذو الجلال - نستطيع أن نستجلي وجوده في النظر إلى آثار رحمته .. يكفينا بعض آثار هذه الرحمة لنوقن بوجوده سبحانه ، أما الرحمة فلا



تصميم الفلاف والصفحات الداخلية

⁽١) قصد الثلف بإيراد هذه المقولة الدلالة على قدم الخالق وحداثة الخلق ، وهو معنى ظاهر من النص

سبيل إلى النظر إليها، الأنها صفة من صفات الله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ ، ولعل ذلك بعض معنى الحديث : (جعل الله الرحمة مائة جزء ، فامسك عنده تسعة وتسعين جزءا ، وأنزل إلى الأرض جزءا واحدا ، فَمَنْ ذلك لجزء بتراحم الخلق ، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) .

إن كل ما في كيان الإنسان ، وواقعه ، وزمانه ، ومكانه هو من آثار رحمة الله ، وحسب الإنسان أن ينظر في نفسه ليستيقن بوجود خالقه ، وليتبين آثار رحمته في خلقه وتسويته وتزويده بالنفخة العلوية التي صار بها متميزاً عن سائر المخلوقات المشاركة في الحياة الأرضية .

ونحن نخطئ أحياناً حين ننظر إلى الحياة فلا نرى منها غير ذواتنا .. نحن الأناسى ، فأما الطير ، والحيوان والحَشر ، وما ضمّه عالم البحار – فكل ذلك مجرد كائنات متحركة ، تظل تتحرك حتى يخمدها الإنسان لينتفع بها ، أو تلقى مصيرها المحتوم فتبيد ، بعشهد من غطرسة الإنسان الذي يتربع على عرش السيادة على غيره من الكائنات .. ﴿ وسُخُر لَكُم مَا في الأرض جميعًا مَنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَات لَقَوْم يَتَفَكّرُون (١٠) ﴾ [الجائة]

إن القرآن لا يشجع النظرة المستعلية التي تحبس إدراك الإنسان داخل جدران ذاته ، وهو يفتح أمام النظر الإنساني نافذة رحبة لرؤية غيره بقدر ما يري نفسه ، والله يقول : ﴿ وَمَا مِن دَابَّة فِي الأَرْضِ وَلا طَائر يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهُ إِلاَّ أُمْمُ أَمْثَالُكُم .. (٢٠) ﴾ [الانعام] ، قكل ما خلق الله من الدواب .. كبر أو صغر ، هو من الامم التي خلقها الله ، وألزمها بسنن حياتها ومصيرها .. بل وعلمها ما هي بحاجة إليه في بقائها واستمرارها ، وعالاقاتها بالامم الاخرى من الدواب ، وجاءت في ذلك إشارة القرآن : ﴿ أَلُمْ تَرُ أَنَّ اللّه يُسبَح

لَهُ مَن فِي السَّمَوَات وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافّات كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وتَسْبِيحَهُ وَاللّهُ عَلَيمٌ بِمَا يَفَعْلُونَ (١٤) ﴾ [النور] ، وهي إشارة تثبت لعوالم الطير والحشر ، والحيوان .. وعلني وجه الإجمال : كل من له حياة .. تثبت لها العلم والصلاة والتسبيح ، وهو أمر أكّدته الآية الثالثة : ﴿ وَإِن مِن شَي و إِلا يُسبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهُونَ تَسْبِحَهُمْ . . (١) ﴾ [الإسراء] .

ومن المعلوم أن أمم الحيوان والطير قد سبقت في وجودها وجود الإنسان على الأرض ، حسبك من ذلك إشارة القرآن إلى الغراب الذي علم ابن آدم القاتل كيف يواري سواة أخيه ، ولكن وجود هذه الكائنات لم يشغل بال الإنسان ، لأنه لا يمثل في نظره مشكلة ..

فأما وجود الخليقة البشرية فهو المشكلة الكبرى التى تواردت عليها الرؤى ، وتواترت الاجتهادات .. بدءاً من الرؤية الإسرائيلية ، وقد كانت ذات حظ عظيم من حيث انتشارها ، وتفردها على الساحة الفكرية ، حتى وجدنا أكثر المفسرين للقرآن يرددون ما ذكرته الإسرائيليات ترديدا حرفيا .. دون أدنى مصاولة تعرض مضمونها على العقل ، وتغربل ما حفلت به من خرافات وأساطير .

وإلى القارئ جوهر القصة كما تلقيناها عن القدماء ، وكما رواها صاحب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس (ص ١٦ - ١٧ - ط ، شقرون) :

(قال المفسرون بألفاظ مختلفة ، ومعان متفقة : إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض : إنى خالق منك خلقاً ، منهم من يطيعنى ، ومنهم من يعصينى ، فمن أطاعنى منهم ادخلته

البنة ، ومن عصائي الفات الذي بن ، ثم بعد إليها جبريل عليه السلام المائة في قبية من ترابها ، فأما أتاما جبريل المنفض منها المنفقة ويتاليا الإرض : أبي أعيره بهزة الله الأماال وناا طلسا يبن يبيل يبيل يبيل يبيل اللساا ميه ببيل بين بن يبيل الماسا ميه السلام إلى بن وام يافذ منه شيكا : قال : يارب ، استعانت بله فكوعت أن أقدم عليها .

مأال تنامتسان بضكا ربتانه مكاسسا فيلد راينالايد راجع بد مألا بمان . ليث لهند نغل ما ، في رجا وجها ، ليث لهند نغل نا

[الإنسان] . قل معياس: (الإنسان هو آدم ، والحين أربعس سنة ، كان آدم

كل ذلك مضي في الغيب ، فكيف اطّلع عليه هؤلاء القصلُص من بني إسرائيل ؟!!

ل كيف سلّم العقل الإنساني لحكاياتهم بهذه البساطة ؟ حتى اغتصرت السالف قي ملكونه الأعلى - وبين خلقك من الملائكة ، والشيطان ، إلى أن جاء دور آدم ؟

إن كل ذلك صاريمثل أمام العقل الحديث مشكلة خطيرة ، نتيجة التصادم بين معطيات القصة القديمة ، ومعطيات العصر الحديث ، وهو ما ظل يخامر عقلى طيلة ربع قرن من الزمان ، أو يزيد ، فى محاولة لفهم النصوص التي جاءت فى القرآن الكريم ، وهى قطعية .. تروى وقائع قصة الخلق ، وأيضاً للتوفيق بين التصوير القرآئى ، والاتجاه العلمى فى تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، ولاحرج علينا فى هذا مادمنا نرعى قداسة النصوص المنزلة ، ومادمنا لا نخالف معلوماً من الدين بالضرورة ، وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق ، وتستنطق اللغة من بديد ، وتدعم إيمان المؤمنين بما ينطوى عليه كتاب الله من أسرار، قد تكون خفيت عن بصائر ذوى التمييز ، ثم أذن الله سبحانه لبعض السر أن ينكشف ، وللرؤية أن تنجلى ، وهو مانؤمل أن نكون قد حققناه فى هذا الكتاب .

ليست هذه هي المحاولة الوحيدة التي تناولت قبصة الخلق ، فقد شغلت القصة عقول الفلاسغة والعلماء في عصور مختلفة ، وبيئات مختلفة كذلك، ويكفى أن نشير هنا إلى رؤية ابن طفيل قديماً في قصته عن (حي بن يقظان) كما نُذكر بنظرية (تشارلز داروين) حديثاً عن نشأة الانواع .

وأول ما اعترض ابن طفيل من المشكلات: (مشكلة خلق الإنسان، أو كيف ظهر أول إنسان على وجه الأرض) .. يقول الأستاذ أحمد أمين فى (حى بن يقظان - ص ٣٣ - ط . دار المعارف) عن ابن طفيل: إنه لم يكن يعرف بالضرورة رأى داروين الذى يرى أن أنواع المخلوفات منصل بعضها ببعض ، وأن ليس الإنسان إلا حلقة من هذه السلسلة .. سبقته حلقات أخرى ، إلى أن انتهت بالإنسان .

أما عند ابن طفيل فرأيان .. كل منهما يمكن أن يكون .. الأول : أنه نشأ

في جزيرة من جزر الهند ، تحت خط الاستواء ، تولّد فيها الإنسان من غير أم ولا أب ، لأن تلك الجزيرة أعدل بقاع الأرض هواء وأتمها ، لشروق النور الأعلى عليها استعدادا ، فتأثرت هذه الجزيرة بأشعة الشمس ، وتخصرت الطينة الصالحة على مر السنين والأعوام ، وامتزجت القوى ، وتعددت وتكافأت ، وهذا ماذهب إليه بعض الفلاسفة من جواز التولد الذاتى الطبيعى ، ويرى ابن طفيل رأيا آخر : أن حى بن يقظان لم يتولد من غير أب ولا أم ، وإنما ولد من أب وأم ، وكانت أمه هى أخت الملك ، خافت من الملك فقذفته فى اليم ، وجرفه المد إلى جزيرة اخرى ، حيث خافت من الملك فقذفته فى اليم ، وجرفه المد إلى جزيرة اخرى ، حيث التقطته ظبية كانت فقدت ابنها ، فحنّت عليه ، وألقمته حلمتها ، وأرضعته لبنا سائغا حتى ترعرع . فهذان الرأيان يمثلان رأى الفلاسفة القدماء ، فبعضهم يرى إمكان التولد الذاتى إذا اعتدلت الطبيعة ، وتم الاستعداد من تخصر ونحوه ، وبعضهم يرى أن الإنسان لا يمكن أن يتولد إلا من إنسان) .

ويستطرد الأستاذ أحمد أمين استكمال رحلة (حى بن يقظان) فيقول: (إنه حنا على الظبية ، لأنها أرضعته لبنها ، وعطف عليها كما يعطف على أمه ، وما ذال مع الظباء على هذه الحال ، يحكى نقمتها بصوته ، ويحكى ما يسمع من أصوات الطير ، وأنواع سائر الحيوان .. يحاكيها في الاستئلاف ، والاستدعاء ، والاستدفاع .

ولما قلدها في هذه الأصوات المضتلفة باختلاف هذه الأنواع ألفته وألفها ..) .

وبذلك تعلم الإنسان من تقليد الحيوانات والطيور .. إلخ .

ومن الواضح أن ابن طفيل في رأيه الأول استخرج الإنسان من ألطين المتخمّر ، وهو ما ذكره القرآن في خلق البشر: ﴿ مِن صَلْصَالُ مِنْ حَمَا مُسْتُونِ ﴿ إِلَهِ اللهِ السَّولِده في تصوره الشَّاني من أب وأم على ماسنري في وجود الإنسان ، وهو ما لا يمكن أن يتصور في وجود الخلق الأول ، وافتراض أن أصل اللغة هو تقليد الإنسان لما حوله من أصوات طبيعية أو حيوانية أو طيرية .. وهو أمر ليس بعيداً عما يقول به الآن كثيرون من علماء اللغة ، ولا جديد لابن طفيل إلا في صوغ قصة الظبية ، وتطور علاقتها بالطفل (حَيّ) !! وهو مانجده لدى الغربيين في قصتهم عن (روبنسون كروزو) الذي ألقت به الأصواح إلى جزيرة مهجورة ، وليس ومناك نشاً وتعامل مع الكائنات تبعاً لحاجاته وضروراته ، وليس روبنسون هذا سوى حي بن يقظان .

* * *

نسوق ما نقلناه عن الأستاذ أحمد أمين على أنه مجرد خيال يعبر عن حيرة الإنسان تجاه مشكلة الخلق ، لا على أنه اعتقاد لدى المرحوم الأستاذ أحمد أمين أو غيره ، والكتباب الذي بين يدى القباري يؤرخ بمثل هذه النقول لثلك الحيرة الفكرية التي لم تخرج عن معطيات الإسرائيليات .

لقد كان جُلُ اعتمادنا في عرض قصة الخليقة على استنطاق آيات القرآن ، باعتبارها المصدر الأول والأوثق الذي ينبغي اعتماده في هذا المجال ، واستعنا بقليل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما ساعدنا على جلاء المعنى القرآني ، وكان التزامنا دائماً بإقرار جملة من المبادئ الاساسية التي تقوم عليها القصة ، وهي :

الأرضية : فحياة آدَمَ أُ وموَّتُهُ أَ وما وقع بينهما .. كل ذلك من وقائع الأرض وأحداثها .. تسليما بحقيقة قررها القرآن في هذا الصدد في آيات كثيرة ، منش قولة تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ﴾ [نوح] ، وقوله: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ٢٠٠٠ ﴾ [نام]

الترابية: فقد خلق الله الخليق من التراب الأرضى، وعناصره المعروف .. لا فرق فى ذلك بين صوّمن وكافسر ، ورجسل وامرأة ، وهو ما قررته آيات كثيرة من مثل قوله : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مَن تُرَاب ② ﴾ ما قررته آيات كثيرة من مثل قوله : ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مَن تُرَاب ﴿ ﴾ [الكهن] ، وقسوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عندَ اللّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُراب ثُمّ قَالَ لَهُ كُن فَيْكُونُ ﴿ فَ الله عَدَانَ] .

البشرية : وهى حقيقة بدأ بها وجود الإنسان ، كما تقرر فى خطاب الله سبحانه للملائكة .. قال : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشُرًا مِن طِين (() ﴾ [مر] ، وقد كان البشر في نظرنا نقطة البدء في وجود الإنسان الذي خلق من سلالة من طين .

الربائية : بما ميز الله به الإنسان من النفخ فيه من روحه .. ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾ [الحجر] ، وبما طلب منه أن يحقق الربانية بإخلاص العبودية لوجهه سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيعَبُدُونِ ﴿ وَهَا فَا اللهِ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ الهِ اللهِ المِلهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ال

وهذا هو ما يلخص حقيقة الإنسان وتعريفه بالاعتبار الوجودى

⁽١) سيأتي بيان لمضمون هذه الآية عند الحديث عن (ادم أبو الإنسان) .

والعلوى فيهيو: (مبخلوق أرضى ترابى بشرى ربائى) ، أما كونه (حيواناً ناطقاً)(١) فذلك هو التعريف الذي وضعه المناطقة باعتباره ضمن حركة الحياة متميزاً عن غيره من المتحركات الأرضية .

فإذا كان الذين فكروا في هذه القصة متفقين على هذه المبادئ الأساسية ؛ فإن اختلافهم لن يعدو أحياناً بعض التفاصيل التي لا يضر مثلها في تصور الإطار العام للقصة ، وإن كانت هناك تفاصيل أخرى لم يتطرق إلى مناقشتها السابقون .. تفرد هذا العمل بمناقشتها ، واستخراج نتائج حاسمة منها .. أرجو أن يرضاها القارئ الذي يتتبع خيوطها .

* * *

وهنا قصة لابد من تسجيلها ، فقد تفضل الصديق الكريم الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ـ عضو مجمع اللغة العربية في الوطن العربي ـ بإهدائي نسخة مصورة من كتاب بعنوان (آدم عليه الصلاة والسلام) من تأليف الاستاذ بشير التركي .. أحد علماء تونس ، وكان الدكتور هيثم قد حضر الدرس الحسني الذي ألقيته بين يدى جلالة الملك الحسن الثاني في رمضان ١٤١٧ هـ عن (رؤية في قصة الخليقة) ، وتذكر أنه رأى قبل ذلك كتاباً في الموضوع في تونس لأحد المفكرين المجتهدين ، فطبه فلم يجده في المكتبات ، ولكنه عنر على نسخة منه عند أحد أصدقائه ، فصور النسخة ، وتفضل بإرسالها إلى _ جزاه الله كل خير _ فقد شعرت عند تسلمي رسائة الصديق أن العلم رحم بين أهله ، وهو _ أكرمه الله _ قد تسلمي رسائة الصديق أن العلم رحم بين أهله ، وهو _ أكرمه الله _ قد

وصل بذلك تلك الرخم وأهدى إلى قدراً من المعرفة كنت بحاجة إلى مطالعته .

غير أنى لم أجد مناسبة لإقصام آراء الاستاذ التركى في معالجتى للجانب العلمي من المشكلة ، فقد كنت انتهيت فعلاً من رقنها على الكمبيوتر ، ورأيت أن أقدم في هذه المقدمة خلاصة لما جاء عنده في هذا الصدد .. وفاء بالواجب العلمي ، وعرفاناً بفضل الدكتور هيثم الخياط ، وإلى القارئ موجزاً لما جاء في ذلك الكتاب :

لقد ربط المؤلف معالجته لقصة آدم برأى له في بلدة (المهدية) ، وهي مدينة على الشاطئ الشرقي التونسي ، وهي مركبز سهل أرضى شاسع جداً ، فعمق البحر في شرقها لا يبلغ مائة متر ، على بعد مائة وخمسين كيلو متراً ، وفي غربها لا يبلغ ارتفاع الأرض مائتي متر على مسافة مائة كيلومتر ، وقد ذكر المؤلف وصفا تفصيليا للمهدية يرشحها لتكون منشأ الحياة البشرية منذ صلابين السنين (ص ١٣) ، ثم ذكر في نفس الصفحة أنه (بعد أن انقرض البشر خلق الله آدم في الجنة ، ثم أنزله على الأرض يحمل السبع المثاني ، وهو الرصيد الورائي المادي ، وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكُ سَبْعًا مَنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمُ (١٠٠٧) ﴾

والذى نلاحظه هنا أنه فحصل بين آدم والبشر ، فوجود آدم كان بعد انقراض البشر ، ولا ملاحظة لنا على ارتباط آدم بالسبع المثانى ، فللمؤلف رأيه الذى يؤمن به .

وذكر في ص ٦٤ : أهم الموجات البشرية ، وهي أربع :

⁽١) لم يعجب هذا التعريف للإنسان بأنه حيران ناطق بعض (الحيوانات الناطقة) ، ورأى أن ذلك خطأ رقع فيه الأنمة السابقون !

الأولى: هن أربعة مليارات إلى عليار من السنين ، وهي فترة عاش خلالها بشر يسمى (بشر الجنوب) (الاسترالوبتيك) ، ويمتاز بأنه أول غز منع الآلات المجرية ، حين استطاع أن يحرك إبهامه في مواجهة الاصابع الاربعة ، خلافًا لغيره من الحيوانات ، فاستطاع القبض على الاشياء .

والثانية : من مليار إلى مائة وخمسين ألف سنة ، وعاش خلالها جيل البتكانيروب ، أو البشر القرد ، وكان منتصب القامة ، وهو البشر الواقف، وهو الذي اهتدى إلى النار .

والثالثة: من مائة بضسين إلى أربعين ألف سنة ، وقد عاش غلالها إنسان النياندرتال، وهو بشر الشعور، وفي نهاية عهده كان (آدم) النيامه الله الأسماء، فهو يتصبور الإشياء، ويرمز لها بالكارم، وتلك هي البداية الثقافية ، التي غرز الله مكوناتها في فطرته، وجعلها في غلاياء الوراثية .

ن السنة المسية به الله منه ، ن كما أرشح تنس سفال نيمبه الله المسية منها المال ، قعبا المال المسيد المال ، قبالكذا ريا المنتما ومنا المعه ، سفه العال أن المنتما ريا المنتما ومنا المعه ، سفه العال أن المنتما ومنا المعه ، سفه العال أن المنتما ومنتما ومنتما المنتما ومنتما المنتما ومنتما المنتما ومنتما المنتما ومنتما ومنتما المنتما ومنتما ومنتما المنتما ومنتما ومنتما

ويسوق المؤلف صييّه بعا يوحي بالتغاير بين الموجات الأربع ، وهو ويسوق المؤلف صييّه بعض بوحي القالي ، وهو المورية المورية المورية المورية المارية عنال من أن المناسبة المارية الدي أواده الله كان واحدا .. منذ قال الله سبحانه الملائكة : ﴿ إِنّى المناسبة أن في طبن أن البي يوا الناس هذا ، وإن هذا البيث قد صرّ في مراحل من (التسوية ، ونفع الروع الإلهي) .. في صراحل متدبجة من حيث النفع ، وهو ما اغتلفت به هويات الأجيال ، وكل ذلك في إطار

شا الفلسما روغال ، لما لا ناسلها لما (وعا) تالا ناسالها في شبا قلم الله المناسلة المناسلة المناسلة على المناسلة المنا

اما تقسيمات هذه المراحل أو الموجات فهو، مما تختلف فيه آراء العلماء ، وهباهابه ، وهباه به الكل وجهة ...

قيقي ، وما قسعة الحاط به الاستان بشير التركي خاصة المعالم المواد الله المحاط عام المعالم المعالم المحاط المعالم المحاط المعالم المحاط المحاط

* * *

وبعد ! فإن الرضوع خطير .. مشر ، وهو يحتاج إن أي أن بغرب من مين من الرضاع الرافع ! مين من من المين الرضاع الرضاع . وما المين ا

وإذا كانت كتابة هذا البحث قد استفرقت خمسة وعشرين عاماً ، أو تزيد ، فإن بضم ساعات تنفق في قراءته لا تكفى التحاور معه ، ومناقشت ، الخروج هذا الأزق العقلى والثقافي الذي جرئنا إليه الإسرائيليات .

.. قارُندا شاركا قريري على معبدا الله نا

وهو لم يضرع قبيد أنملة عن العنى القرآني ..

وهو لا يتناقض في نتائجه مع أي عديث صحيح في السنة المصدية .. أكان ثلك نصا أم تأديلا .

والهدف هو انتزاع العقل المسلم من برائن النقول الإسرائيلية المصوة بالخرافات النافية لكل ما هو عقل، وعلم، ونور.

مقدمة الطبعة الثانية

حين صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب (أبي آدم) أحدثت من الدوى ما يحدثه سقوط صخرة ضخمة في بركة آسنة ، وانبعث من قلب البركة _ أو المجتمع _ أناس يتصدون للكتاب ، ولمؤلفه ، ظانين أن بوسعهم أن يخفتوا صوته ، ويخفوا أثره ، بالتشويه والتجريح ، وعلم الله أنهم لم يكونوا يملكون فكرا قادرا على استيعاب مضمون الكتاب ، بل لقد يصدق في وصفهم ما ذكره المرحوم الكاتب الإسلامي مصطفى صادق الرافعي في وصف بعض خصومه ، بأنه ، يرى السماء الصافية فيظن أنها قبة من الزجاج ، وينظر إلى النجمة البادية فيرى أنها بيضة من بيض الدجاج ، ، هكذا سمعنا خلال تلك الفترة جعجعة ، ولم نر طحنا ، وقد قذف وقع الصخرة في البركة بعضهم إلى ساحات القضاء في أربع زخات متواليات ، تولى كبرها رجل قانون ، ورجل تدين : (قضيتان في المحكمة الابتدائية ، وأخريان أمام الاستثناف العادي والعالى ، فلم يلق الرجلان في قضاياهما سوى أحكام الرفض ، وكان سندنا المهم في تلك المواجهة الشرسة _ ذات الأهداف الخفية _ تقرير مستنير أصدره مجمع البحوث الإسلامية (وهو منشور أيضا في ملحق الكتاب) ، يقرر فيه المجمع أن الكتاب لا يحتوى على ما يخالف القرآن الكريم أو السنة النبوية ، ولا ينكر معلوما من الدين بالضرورة ، أو ثابتا من ثوابت العقيدة ، وإنما هو اجتهاد توفرت شروعه في مؤلف الكتاب، والمجمع قد يختلف معه في بعض النتائج التي توصل إليها . « أو كما قال » .

ف و من اهتدى فَإِنَّمَا يَهتدى لِنَفْسِهِ وَمَن صَلَّ فَإِنَّمَا يَصِلُّ عَلَيْهَا ١٠٠٠ ﴾

[يونس]

و ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضُوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِراطِ مُسْتَقِيمِ ۞ ﴿ اللَّهُ العظيم .

د . عبد الصبور شاهين

٤ رمضان ١٤١٨ هـ

۲ من بنابر ۱۹۹۸ م

لقد حفظت الأحكام القضائية الصادرة بشأن الكتاب للعلم كرامته ، وللاجتهاد حرمته ، وللإسلام قدسيته ، وعادت الكائنات التي انبعثت من قلب البركة الأسنة إلى قاعها في انتظار صخرة أخرى ،

أما الكتاب فقد كان صخرة أردت بها أن أدق رأس الأفعى الإسرائيلية اللابدة فى الثقافة الإسلامية القديمة ، ممثلة فيما سمى بالإسرائيليات ، وهى لا تعدو أن تكون أساطير خرافية تسللت إلى الفكر الإسلامي ، وإلى عقل الإنسان المسلم ، فاعتمدها أئمة من أهل التفسير ، ومن خلال تلك التفاسير سكنت فى منطقة المسلمات من العقل المسلم ، وهى فى الواقع أفعى إسرائيلية اعتنقها كثير من الرجال ، ممن لم يعملوا عقولهم فى تحليل نصوص القرآن ، وممن لم يشعروا بالصدمة حين اتضحت من الأرقام المسافة الزمنية الهائلة بين معطيات الخرافة ، وتقديرات العلم لأماد ما قبل التاريخ ، وأبعاد الحياة البشرية .. لقد خنقت الافعى أفهامهم حين طوقت أعناقهم .

وقد يلاحظ في ضوء الأرقام اختلاف العلماء في تقديرها ، وهو اختلاف يعنى أن الأزمنة السابقة التي بدأت خلالها أحداث الخلق ، سواء في ذلك خلق الأرض ، أو خلق الحياة بأنواعها عليها - يستحيل تقديرها على وجه التحديد واليقين ، وإنما تستخدم الأرقام للتعبير عن المدى الهائل الذي يعجز الإنسان عن الإحاطة به ، أو إدراك مداه .. فدلالتها في كل حال ظانية !!

إن هناك علماء مفترنين بالأرقام ، يطلقونها على سبيل التحديد ، فيقولون منها (مثلاً) إن الأرض خلقت منذ كذا .. لا منذ كذا ، وبلغ الأمر ببعضهم أن وصف السابقين عليه بأنهم جهال ، ومنزيقون وبأن تقديره

هو الأدق !! .. ويحار المرء في مناقشة مثل هذا الموقف الذي لا يحتوى دليلاً واحداً على صدق مضمونه ، ولكنها فتنة الأرقام الجيولوجية ، والواقع أن للمسالة وجهين تستخدم بهما :

الوجه الأول: حين تستخدم الأرقام في مجال الدلالة الجيولوجية او الانثروبولوجية ، فاختلاف الارقام هنا ذو دلالة على مفهوم محدد تقريبا بأنه (قبل صرحلة كذا أو بعد تلك المرحلة) . واختلاف تقديرات العلماء هنا ، مع كونها تقريبية ، ذو قيمة علمية تؤثر في النتائج الواقعية .

والثانى: وهو ما نحن بصدده - لا يقصد منه تحديد زمن معين ، بل يراد به إفادة مطلق البعد فى الزمان الازلى ، وحينئذ لا يهم أن يقال : حدث هذا (مثلاً) منذ مائة طيون سنة ، أو مائتى عليون ، أو ، ليار ، لأن المراد هو إفادة البعد الزمانى المطلق ، ولن يقصد به أن شيئاً ما خلق قبل آخر أو بعده ، فعلم ذلك وغيره عند الله وحده .

والوجه الأول خاص بالمؤلفات المتخصصة في البحث عن آماد الكون وأبعاده واختالاف تقديراتها وهو وارد بناء على اختلاف منطلقاتها البحثية .

أما الوجه الثانى فهو يفيد فائدة عامة فقط ، وليس يُطلب من الباحث تتبع اختلافات العلماء فى هذا الصدد أو استخدامها لاستخراج نتيجة تاريخية أو أدبية ، فشتان ما بين المجالين ، والخلط بينهما لا يعبر عن ذكاد ، بل عن غباء .

ولابد أن ثلتفت أمامنا الآن ، فنحن في مواجهة غارة إسرائيلية تحاول استخدام كل الوسائل لتخريب العقل المسلم المعاصر ، وهي لا تكلف عن

ترديد الاساطير، في محاولة لزعزعة يقيننا بانفسنا، ويكفى أن يقف رئيس الوزراء الإسرائيلي الاسبق مناهم بيهين أمام الاهرامات الشامخة ، ليردد بصوت عال مسزاعمه الإسرائيلية ، بأن أجداده من بني إسرائيل هم الذين بنوا هذه الأثار الخالدة ، وهي عملية اغتصاب فاجرة ، يريد بها تجريد الأجيال المسرية من كل ميزة أو فضيلة ، هذا على الرغم من أن مناهم بيهين ، وكل من تجمعوا في فلسطين تحت شعار الصهيونية ، لا يملكون دليلاً واحداً على ما يزعمونه إنجازاً لبني إسرائيل في مصر ، بل وأكثر من هذا لا يملكون دليلاً واحداً على اتصال نسبهم بإسرائيل ، أو بني إسرائيل ، فهم مجرد للمة تناشرت في العالم قبل عشرات القرون ، وتجمعت في شكل مجموعات من الشذاذ ، لتحقيق خطة عشرات القرون ، وتجمعت في شكل مجموعات من الشذاذ ، لتحقيق خطة

والعجيب أنهم يسطون على التراث الإسالامى ، ليؤلفوا ملحمة إسرائيلية تشكامل مع العهد القديم ، ليبنوا لانفسهم وجوداً ثقافياً مؤثراً في العقل المسلم وتاريخه ، وهذا هو شأن الغارة الإسرائيلية المستوطنة الآن في فلسطين ، تحاول بما تثير من غبار الافتراءات والاكاذيب والإسرائيليات ، أن تلهينا عن مرارة واقعنا ، الذي ينبغي أن نحتشد لقاومته بكل ما نملك من قوة وعزم وإصرار ، وأن نرفض كل دعاوى السلام الزائفة ، التي ليست سوى وسائل يضحكون بها علينا ، وقد نبين لنا أن السلام الذي تعنيه إسرائيل ، ومن وراءها من أمريكان وأوروبيين ، في عبارة عن هدنة بين حربين ، أولاهما سبقت ، والثانية آتية لا ريب فيها.

استعمارية ، هي ضرب الإسلام بواسطة هذه الجيوش المرتزقة .

بل إننا نرى لزاما علينا أن نجاهد تلك الغارة الإسرائيلية على قلب عالمنا

العدربى - فى فلسطين ، نجاهدها صاديا وادبيا ، نجاهدها استيطانا ، واحتلالاً وتأثيرا فكريا وإعلاميا ، وسياسيا واقتصاديا .. لا بد أن نقضى على هؤلاء الغزاة قبل أن يقضوا علينا .. فقد جاءوا إلى بلادنا قاتلين او مقتولين وسنكون نحن قاتليهم ، وسيكونون هم المقتولين - بمشيئة الله ، حتى نسوقهم إلى حصير جهنم .

لقد ابتلى العقل المسلم المعاصر من قبل مدرستين لهما وجود على الساحة ، ولهما ضجيج مزعج ، وقد أن أوان إخماد هذا الضجيج :

أما أولاهما فهى المدرسة الخرافية التى تتبنى المكايات والإسرائيليات، وأما الثانية فهى المدرسة المعرفية، والتى تتشبث بالماثور، حتى ولو كان خرافيا. وهى المدرسة التى ترفع السيف في وجه أى اجتهاد، بدعوى الخروج على قواعد البلعبة السلفية، والسلفية براه من كل أشكال الأساطير والخرافات.

ولا مناص _ إذا أردنا للإسلام أن يتبوأ مكانة في عالم الغد _ أن يتم القضاء على هاتين المدرستين وآثارهما ، فهنالك تصالف بين الحرفيين والخرافيين ، هو الذي يعوق حركة الاجتهاد الإسلامي المعاصر ، بإشاعة الخوف في نفوس أصحاب الرأي والاجتهاد . وكثيرا ما اختنقت آراء قيمة بإشاعة هذا الرعب مع أن الإسلام يشجع على الاجتهاد ، ويعد كل مجتهد بالأجر _ ما دام لا يضالف ثابتا من ثوابت العقيدة ، وما دام لا ينكر معلوما من الدين بالضرورة ، فلنجتهد . ولتذهب الخرافية والحرفية إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم .

وهذا هو الهدف الجوهري من إصدار هذا الكتاب ..

الناب الأول

ولقد حقق بصدوره نتيجة قبيعة حين نشط بعض الكاتبين للرد عليه ، وكتبوا مقالات ، وهو أثر حميد من آثار الكتاب ، فلو لم يصدر لما كتبوا مفليحمدوا الله على نعمة ظهوره .

أما مؤلف هذا الكتاب فإنه يحمد ربه على كل ضراء وعلى كل سراء ، وقد مضت في حياتي أزمات كثيرة ، قد تتفوق في قساوتها على ما أثاره (أبي آدم) ، ومع ذلك فقد مرت كل الأزمات ـ بحمد الله ـ وكانها نسمات القدر .. وبسمات الرضوان .

د. عبد الصبور شاهين

القصية بين العقيل والنقيل

الفصل الأول

القصة والإسرائيليات

قصة الخلق - كما أوردها القرآن الكريم - مليثة بالكثير من الأسرار الخفية ، والمعانى الظاهرة ، وقد تناولها المفسرون والمنصفون من زاوية أو أخرى ، وتشابهت محاولات القدماء ، حين أخذ بعضهم عن بعض ، وحين جاء العصصر الصديث بمعطياته الكثيرة في مجالات علم الأرض (الجيولوجيا) والإنسان (الانتروبولوجيا) وعلوم الصياة ، والاحياء (البيولوجيا) وغيرها - تغيرت مفاهيم كثيرة ، وصار لزاماً على من يتصدى لكتابة شيء عن هذه القصة أن يأخذ في اعتباره ما كشف عنه العلم الحديث من حقائق نسبية ، وما قال به من نظريات ، حتى لا يبدو متخلفاً عن موكب المعرفة المعاصرة . وذلك على الرغم من أن الذين حاولوا الكتابة في هذه القصة حديثاً تعاملوا معها من منطلق المسلمات القديمة ، أو بمنطق اللامساس والتوفيق الحذر .

إن هذه القصة كما وردت في القرآن الكريم تحتمل الكثير من التأويلات ، وهي حافلة بالإيماءات والإشارات ذات الدلالة التاريخية والزمنية ، ونحن هنا نستخدم المصطلح (التاريخ) بالمفهوم العام ، الذي يشمل كل ما عضى من الزمان ، محدداً كان أو غير محدد ، أي : التاريخ وما قبل التاريخ ، منذ كان الزمان بأمر الله التكويني (كن) فكان ... ولا معقب ..

إن يظرة القدماء إلى القصة قد تأثرت بالتصور الإسرائيلي لها ، وهو الوارد في سفر التكوين ، حيث يضتزل الزمان كله إلى أقل من ثلاثة آلاف سنة تستغرق عشرين جيلاً هم المسافة بين آدم وإبراهيم ، وقد انقسمت سلسلة النسب إلى مجموعتين :

الأولى: بين آدم ونوح (وهي عشرة أجيال) . الثانية: بين نوح وإبراهيم (وهي عشرة أجيال أيضاً) .

مع مسلاحظة أن سياق النص يوحى بأن الأجيال العشرة الأولى قد بادت بسبب الطوفان ، ثم بدأت الإنسانية جولتها الثانية من سلالة نوح ، الآب الثاني لها ، من خلال أولاده الشلائة : سام وحام ويافث (ارجع إلى سفر التكوين – العهد القديم) ، ومع ملاحظة أخرى هي : أن العمر الذي عاشه آدم – مثلاً – يصل في تقدير العهد القديم إلى حدود الجيل التاسع تقريباً ، أي : قبل نوح بجيل واحد .

لسنا هنا بصدد مناقشة معلومات العهد القديم ونقدها ، فهى ذات طابع اسطورى غالباً ، ولا دليل على خطئها أو صوابها ، سواه فى الأسماء أو فى الأرقام ، وإن كانت إلى الإحالة وعدم التصديق أقرب .

ولكن الملاحظة أن أصحاب السير قد اعتبروها من قبيل المسلمات ، فكرروها دون أدنى مناقشة ، أو حتى توقف ، وهذا هو ابن هشام في سيرته يذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم ، فيصل به إلى آدم عبر سلسلة العهد القديم ، فإذا بالنبى من الجيل الخمسين بعد آدم ، أى : إن المدة من آدم إلى محمد - ثم إلى زماننا هذا - لا تزيد على سبعة آلاف عام ، هى كل ما مضى من عصر البشسرية ، وهو تقدير لا يتفق مع

التقديرات القائمة على الرؤية العلمية ، التي تقرب ولا تحدد .

وحسبنا أن ننظر في تعليق محقق السيرة الشيخ مصمد محيى الدين عبد الحميد على ماذكره ابن هشام من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (روى عن عروة بين الزبير أنه قال: ما وجدنا أحداً يعرف ما بين عدنان وإسماعيل)..

وروى عن عصر رضى الله عنه أنه قال : (إنما ننتسب إلى عدنان ، ومافوق ذلك لا ندرى ما هو) ، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال - لما بلغ عدنان : (كذب النسابون) مرتين أو ثلاثاً .

وقد كره مالك وجماعة من العلماء أن يرفع الرجل نسبه إلى آدم ، من قبل أن هذا كله من باب التخرص والظنون التي لا يمكن أن يوثق بها(١) .

ويلف النظر في هذا التعليق الرواية عن ابن عباس: (أن بين عدنان وإسماعيل ثلاثين أباً لا يعرفون) .. أي ثلاثين جيلاً ، تستغرق في المتوسط ثلاثة آلاف سنة على الاقل.

فإذا رجعنا إلى حساب التاريخ للمدة من إبراهيم حتى الآن وجدناها تقترب من أربعة آلاف سنة وهي مدة تختلف شاماً مع ظنون النسابين ، الأمر الذي يجعلنا لا نعول كثيرا على رواة الانساب ، ولا على مصادرهم الكتابية .

⁽۱) سیرة ابن هشام جـ ۱ ص ۱

الفصلالثاني

النظرة العلمية

أما النظرة العلمية إلى هذه المسألة قبإنها تضعنا في قلب تصور أوا تحسب أبعاده بمئات الألوف .. بل بمئات الملايين من السنين ، وقد حاء فوه موسوعة الثقافة العلمية (صفحة ١٩٨٧٤) أسماء الوصو البيولوجية ، وأمادها الزمنية ، وهي عصور مرت بكركب الأوضاء وتسمت إلى حقب ، بحسب معالمها السائدة – كما قررها العلماء

حقبة الحياة العتيقة :

	٧١,١٢٥,٠٠٠,٠٠٠	du 1 - 1 - 1 -
سنة	V1,170,,	حقبة ما قبل الكمبرى
شخة	••••••	حقبة الكمبرى
سنة	TV0,,	حقبة الأردوفيشي
سنة	770,,	حقبة السيلوري
سنة	T	حقبة الديفوني
سئة	Yo.,	حقبة الكربونى
مستة	Y . o	حقبة البرمي
	•	حقبة الحياة المترسطة
i.u	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠	حقبة الطراياسي

حقبة البلايستوسين	0	with	
نيس بيليا البليوسين	¹ · · · · ¹ V		
حقبة اليوسين	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	ستق	
حقبة الاوليجوسين	X3		
حقبة الإيوسين			
حقبة الباليوسيني	,, .V	wis	
: كَيْنِما الْمِلَة المِينَة			,
حقبة الطباشيري			4
حقبة الجورى	021	تنس	,

دكل هذه الحقب يعتبر بجود الإنسان فيها غامضا ، يمكن أن تتصور بجوده في شكل منظوق فطرى (خام) كالحيوان يستنظم إدراكات شتى من الاهاسيس المفتلطة التي لا تحصى(١) .

: في في الحياة الأخيرة :

الدور الاضير ، دون تأريخ أو تقدير ، وهو دور انحسار البياير ، وقد شهد نباتات مذرعة ، وهي حقبة الإنسان الهوموسابينز أو الإنسان التكر .

دمن الواضع أننا طبقاً الهذه العلومات أمام أزمان متطاولة تسب كما ذي بعشوات الليارت من السنين، فقد بدأت هنبة الصياء العيشة بوصلة ما قبل المصر الكمبرى، أي: منذ واصد وسبعين ملياراً فحست وعشرين طبوناً من السنين، فهو أطول العصور أو العقب واقدمها على الإطلان في تقدير العلماء.

وبدأت مقبة الصياة التوسطة بالمصار الطراياسي ، منذ منائة وسبعين ميوثا من منائة المينيث ، مند مناثة وسبعين ميوثا من السنين

وبدأت حقبة الصياة الصين مع بداية العصر الباليوسيني منذ ثمانين مليونا من السنين ، وتأتى مرصة صاسمة ضمن هذه الحقبة ، هي حقبة الحياة في العصر البلايستوسيني ، وتقدر بدايتها منذ خمسمانة الف سنة ، طبقا لعلومات موسوعة الثقافة العلمية .

قازا رجعنا إلى كتاب (صدر من حياة ما قبل التاريخ) ، المؤافين: المرافين المرافين المرافي المرافي المرافي المرافي المرافية ما قبل المرافية المرافية

كما ظهرت بعض الصيرانت الفقارية من الثدييمات، ومنها صيران المدين الشريمات، ومنها صيران المدين المدين المدين الشريعات المدين أو والمدين والمارات، والتشريما المدين ا

^(/) MAS - MALLEN / 77 .

 ⁽¹⁾ من العلماء الماصدين من لا بيرانل على هذه التشبيرات جملة وتفصيراً . ويصف القائلين بها بالنهم مزيفون وكذابون

والاحصنة والثيران بكثرة ، مع شيء من الاختلاف عما ظهر في حقبة الباليوسين ، أي : منذ تسعين مليون سنة ، والحقية التالية لها ، وهي (الميوسين) منذ خمسة وعشرين مليون سنة ، وهي الجقبة التي شهدت ظهور بعض أنواع من الطيور ، كالبجع وبداية طائر البطريق ، وطيور الماء التي تشبه (أبو قبردان) في العبصر الحديث وغيرها ، وانتشرت الخبراتيت، والغيزلان والزراف ، وبعض الكلاب والدبية ، والنسانيس والقردة ، وبعض الحيوانات المفترسة كالنمور ذوات الناب .. بل إن العلماء السوفيت عثروا على سمكة ضخمة متحجرة في باطن الارض ، عند مدينة خاركوف ، حددوا عمرها بأنه حوالي ثلاثين مليون سنة ، وغرابة الكشف أيضاً أن قشر السمكة مازال محتفظاً ببريقه .. كشفوا عنها أثناء حفر نفق سكة حديد ، وتم نقلها إلى المتحف العلمي لجامعة خاركوف .

كل ذلك وغيره سبق ظهور الإنسان ، وقد وجدت بقاياه فى الصخور القديمة ، وقيعان البحار ، والكثبان الرملية ، ويقول مؤلفا (صورمن حياة ما قبل التاريخ) - صفحة ١٤٨ :

(وقبل المليون سنة تقريباً ، وجدت بقايا لكائنات شبيهة بالإنسان مثل جنس (أوسترالويشكس) ، والذي وجدت بقاياه في أفريقيا ، وانتشر في عصر البلايستوسين المترسط عبر معظم قارات العالم القديم .

وبعد ذلك وجدت بقايا ما يعرف بإنسان بكين ، وإنسان جاوة ، وإنسان هيدلبرج ، وإنسان نياندارثال ، وإنسان روديسيا ، وإنسان سوانكومب، ويضتار بعض العلماء من بين هؤلاء الأناسي إنسان هيدلبرج باعتباره الحلقة الوسطى بين الإنسان الذي يتكلم والحيوانات التي تصيح ، أما الإنسان النياندرتالي فيظهر أنه كان ذا مبادئ فكرية من اللغة الملفوظة)(١)



بشر سابیان من مائة وثلاثین ألف سنة



مشر نیامدرتان من کانهٔ وعشری<u>ت</u> الف سنهٔ

⁽۱) اللغة - فندريس - تصدير هنري برجسون

وكل هؤلاء الإناسى وجوه مختلفة لمخلوق واحد ، كان يتنقل من مرحلة الله مرحلة في تسوية الخالق له ، فكلما مضت مرحلة من التسوية تغيرت بعض أرصافه ، وأفرده الباحثون في الجيولوجيا والانتثروبولوجيا متسمية ، وقد وجدت تلك البقايا بصورة ناقصة ونادرة ، مما يجمعل معلوماننا عن هذه المخلوقات الشبيهة بالإنسان بعيدة كل البعد عن الكمال

وأول كائن إنسى له الميزات التشريحية للإنسان المعاصر ، وله صفاته من الذكاء ، والقدرة على التعبير عن نفسه هو (إنسان كرومانيون) والذي وجدت بقاياه في جنوب فرنسا ، في كهوف ترك آثاره على جدرانها رسوماً لبعض الحيوانات التي اصطادها ، ويتضح منها أن هذا المخلوق تمتع بقدر من الذكاء يربطه بالإنسان الحالى .

وأقدم بقايا لإنسان كرومانيون ترجع إلى حوالى ثلاثين ، إلى خمسة وثلاثين ألف سنة مضت ، وهذه الفترة تعتبر من أقدم فترات التاريخ السجل.

هذه النماذج التى عثر عليسها من بقايا الإنسسان على الأرض تمتد كما رأينا منذ ماقسيل مليون سنة ، وهى تؤرخ لمسسيرة هذا المخلوق حتى عسهد قدره العلماء بخمسة وثلاثين ألف سنة .

وقد نشرت جريدة الوقد (١) في (١٩٩٦/١٠) أن الإنسان الأول عاش أيضاً في جبل طارق في عدة كهوف عثر عليها هناك ، وأن ذلك كان منذ ما يقرب من ثلاثين ألف سنة .



بشر يكين من أربعمائة ألف سنة إلى خمسمائة ألف سنة



بشر كينيا ملدون وتسعمائة ألف سنة

⁽١) قد تحدث بعض المسعف اليومنية مرجعاً ننثل عنه بعض الأخيار حين لا يتواقر لدينا مؤلف بعتمده في ترثيقها ، ومع ذلك فنحن تذكره في إطار آنه خير ظني الدلالة



بشر كرومانيون من ثلاثان ألف سنة

5 -

ومع ذلك فقد نفاجاً بوجود أصافير تدل على أن ظهور الإنسان كان القدم من هذا التقدير، فما زالت الأرض محتوية على شواهد دالة على بدء الخلق وكيفيته، ولن يبلغ الإنسان مبلغ الجقيقة إلا إذا دارم على البحث، واستمر في السير تفتيشاً عن شواهدها وأدلتها، وهو ما أمرت به الآيتان القرانيتان

المنكبوت] ﴿ قُلْ سيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ .. ﴿ ثَالَ اللَّهُ وَلَيْ الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِينَ ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِينَ ٢٠٠٠ ﴾

وكل ما سجله العلم من مراحل الحياة على الأرض هو ولا شك من معطيات البحث والسير فيها ، فهى خطوات فى الطريق الصحيحة ، تهدى الإنسان إلى أصله ومنشئه ، عبر تلك الآماد السحيقة .. لقد كانت تلك الآماد – ولاشك – مقدمات لخلق الإنسان .. ﴿ فِي أحسن تقويم (] ﴾ التين ا ، أى : إن خلق الإنسان كان إرادة سابقة أزلاً على وجود الأرض ذاتها ، قبل مليارات السنين ، ثم كانت الأرض ، وكان ما مر بها من عهود سحيقة يعجز العقل عن تصورها – هو التمهيد الإلهى الباهر لظهور السلالات البشرية ، الذي تضاربت الآراء في توقيته ، فليس من هذه العهود ما يعتبر حقيقة مطلقة .. بل هي جميعاً آراء نسبية ، تتفق في الحد الباءم بينها ، وتختلف في العهود والحقب ، ولا سبيل حتى الأن إلى معرفة مثى كانت بالضبط بداياتها ونهاياتها

والآسر دليل على نسبية المعلومات المدونة في المراجع العلمية حول الإنسان، وعصسر ظهلوره على الأرض (قبل مليون سنة) - ما أعلنه مؤخرا اعد العلماء الأنثروبولوجيين، من أن وجود الإنسان كنان أسبق

ما ساناه نقلاً من موسوعة الثقافة العلمية ، وعن كتاب (صور من حياة ما قبل التاريخ) وهو خبر لم ندهش له ، ونحن نؤمن بنسبية الصدق في معلقات التعديث ، وبخاصة في هذا للجال.

لقد نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر صباح الأربعاء (أن البروفسور ريتشارد ليكي أحد العلماء الانثروبولوجيا – علم الإنسان) .. أعلن في كينيا أنه تم اكتشاف بقايا جمجمة يرجع تاريخها إلى مليونين ونصف مليون عام ، وتعد أقدم أثر من نوعه للإنسان الأول .

وقال العالم: (إن هذه الاكتشاف يمتد في قدمه مليونا ونصف مليون عمام عن أقدم أثر أمكن العثور طيه حتى الآن، وقد تم اكتشاف عمام الجمجمة، مع عظام لساق بشرية ترجع إلى نفس الحقبة من التاريخ، في جبل حجرى، بصحراء تقع شرق بحيرة رودلف في كبنيا).

وقال العالم: (إن هذا الأثر يمكن أن يقلب النظريات القائمة بشأن تطور الإنسان عن أجداده فيما قبل التاريخ ، وكيف ؟ ومتى ؟).

وقد قدم ريتشارد ليكى ، وهو مدير المتحف الوطنى فى كينيا - تقريراً عن اكتشافه إلى الجمعية الجغرافية الوطنية في واشنطن ، وقال : (.إن نظريات التطور الحالية - وعلى راسها نظرية داروين - تفيد أن الإنسان تطور من مخلوق بدائى ، كانت له سمات بدنية شبيهة بسمات القرد ، وإن أقدم أثر للإنسان كمخلوق منتصب يسير على رجلين ، وله مخ كبير - يرجع إلى نحو مليون سنة) .

هذا في حين أن الكشف الجديد يدل على أن المخلوق الإنساني المنتصب ذا الساقيان لم يتطور عن المخلوق البدائي الذي يشبه الـقرد ، بل كان يعاصره منا المخلوق عليونين وتضف مليون عام ، وإنه يمكن على هذا الاعتبار استبعاد المخلوق البدائي الأول على أساس أن الإنسان انحدر من سلالته .

وذكرت الجمعية الجغرافية في تعليق لها على هذا الكلام: (أن نظرية ليكي تقوم على أسساس أن المخلوق البدائي الأول و اسمه العلمي (أوسترالوبثيكوس) وكان أساساً من أكلة النباتات، قد وصل إلى مرحلة تطويرية مسدودة، بينما استطاع الإنسان الذي استخدم اللحم في غذائه، وتمكن من صناعة الأدوات الحجرية – أن يبقى على قيد الحياة).

وأكد ليكى فى تقريره: (أنه أمكن إعادة بناء جمجمة من شظايا العظام التى عشر عليها، وأنه بالرغم من أن هذه الجمجمة لا تشبه جماجم الجنس البشرى المعروف حالياً، إلا أنها تختلف كذلك عن جميع أشكال الجماجم التى عثر عليها للإنسان الأول، وبذلك لا تتفق مع أى نظريات حالية عن تطور الإنسان).

وواضح إذن أن القرق الزمنى هائل بين هذا الرأى ، وما تقوله نظرية داروين . كما أن الفرق هائل أيضاً في جوهر التصور للإنسان الأول بين النظريتين ، فيهو عند داروين يمشى على أربع منذ مليون سنة ، ثم انتصبت قامته ، وعند ليكي يمشى منتصب القامة منذ مليونين ونصف الليون من السنين ، وأنه كذلك منذ كان .

فإذا رجعنا إلى ما أورده المؤلف سيد أحمد الكيلاني في كتبابه عن

(نظرية داروين بين التأبيد والمعارضة - صفحة ٢١) حين قال: (وقد الناع البروفيسور جوهانس هورذلر - العالم الذرى في سمنتبال بسريبيرا - بيانا في مارس ١٩٥٦) نجد أنه عارض نظرية داروين بشدة، وقال: (إنه لا يوجد دليل واحد من الف على أن الإنسان من سلالة القرد، وإن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة وهو يعيش منفردا، وبعيدا جداً).

وأضاف إلى ذلك: (أن الهياكل التي درس عليها تؤكد نظريته ، وقد قدم البروفيسور المذكور للمتحف الطبيعي بمدينة بال قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة ، وهذا هو التاريخ الذي أمكن الحصول فيه على هياكل آدمية).

وبتاريخ ٣١ مارس ١٩٥٦ أعلن في أمريكا أن الدكتور (رويتر) المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا - قد أيد البروفيسور هورذلر في وجهة نظره، واعتبرت نظرية داروين بذلك رأياً لا يستند إلى أى دليل علمى، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلة الأنواع، استقلالاً ناماً، فمنها الإنسان الذي يمشى على رجليه، ومنها الدواب التي تمشى على أربع، ومنها الزواحف التي تمشى على بطونها.

وإذا كان سياق الداروينية يقرر أن القردة خلقت هكذا مستبقلة عن الأنواع الأخرى قبلها ، فما الذي يجعلها أصلاً لنوع الإنسان في فرضية داروين ، على حين أن الأقرب إلى المنطق هو أن القدرة التي خلقت نوع القردة التي تمشي على أربع - قد خلقت نوعاً آخر يمشي منتصباً على رجلين ، وهو الإنسان ، وهي القدرة التي أوجعت مالايين الأنواع من الخلوقات المتحركة ، لكل نوع عالمه وقدراته ، وبدايته ونهايته ، فالكل

صادر عن قدرة مضقة واجدة ، تماماً كما حدث القرآن عن وحدة الأصل ، واختلاف الشكل - في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَةً مَن مَّاء فَمَنَهُم مَن يمشى على أَرْبَع يَخُلُقُ لَيْ وَمِنْهُم مَن يمشى على أَرْبَع يَخُلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (عَنْ يُ جُدُلُون وَمِنْهُم مَن يمشى على أَرْبَع يَخُلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (عَنْ يُ جُدُلُون وَمِنْهُم مَن يمشى على أَرْبَع يَخُلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (عَنْ يُ جُدُلُون وَمِنْهُم مَن يمشى على اللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يَشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يُشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يُشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يُسْمَاعُ وَاللَّهُ مَا يُشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يُشَاءُ . . (وَاللَّهُ مَا يُسْمَاعُ وَاللَّهُ مَا يَسْمُ اللَّهُ مَا يَسْمُ اللَّهُ مَا يُسْمِعُ وَاللَّهُ مَا يَشْمُ اللَّهُ مَا يَشْمُ اللَّهُ مَا يَسْمُ اللَّهُ مَا يَشْمُ اللَّهُ مَا يُشْمَاعُ وَاللَّهُ مَا يَشْمُ اللَّهُ مَا يَشْمُ اللَّهُ مَا يُشْمُ اللَّهُ مَا يُصْلَقُونُ اللَّهُ مَا يُشْمُ اللَّهُ مَا يُسْمُ اللَّهُ مِنْ يُسْمُ اللَّهُ مَا يُسْمُ اللَّهُ مِنْ يَسْمُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاعُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ ال

نحن إذن أمام جملة من النظريات المشتجرة والمتعارضة ، التي تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان ، وأصل هذا المخلوق ، وهي كلها تؤكد نسبية المعلومات التي تضمنتها ، ولكل واحدة منها أدلتها التي تستند إليها في تقرير جوانب التصور الزمنية والخلقية ، ولا ريب أن في كل منها شيئاً من الحقيقة ، وأشياء من الخيال تصب في بحر الضلال ، حفاظا على نسبية المعلومات والنظريات في دلالتها على جوهر الحقيقة الذي يتراوح حتى الأن ما بين مليون سنة ، وعشرة ملايين من السنين .

ومن أواخر ما نشرته جريدة الاهرام في هذا الشأن ، خلال شهر يرنير ١٩٩٦ ، ما تضمنه بحث علمي آخر في بريطانيا – قد يكون دليلا آخر لهدم نظرية داروين القائلة بأن الإنسان أصله قرد ، أو منحدر من إحدي سلالات القردة العليا ، تحدي العلماء البريطانيون الرأى العلمي السائد بأن الإنسان الأول كان يمشى معتمداً على يديه ورجليه ، مثل الشمبانزي .

وقال العلماء في جامعة ليغربول البريطانية: (إن الرأى الأرجع هو أن الإنسان الوم، الإنسان الول كان يسير منتصب القامة، تماما مثل الإنسان اليوم، وأوضحوا أنه لو كان الإنسان القديم يسير منحنيا - كما تصور ذلك بعض النظريات العلمية - فإنه لم يكن من المكن أن يعتدل في قامته، ويسير كما هو الأن أبداً).

وهذا الرأى يلتقي في تقديره الزمني تقسيراً مع تقدير البروفيسور الكي بناء على ججم كينيا، غير أن مرتكز الاستدار بو يكن البحث في عدر الأحفورة، بل قام على مناقشة القدرة على الشي منتصباً أو منصنيا العدا القردة والإنسان، كيما يصل في النباية إلى نفطن نفارية داروين، بأسلوب التقنية الماصرة.



الوسي - حضمة النظرية الداروينية ٣ × عليون سنة

وكان آدم أحد هذه المراحل.

ذلكم هو ما سنحاول بيانه فيما يلى من الحديث.

غير أننا نقرر هنا رأياً يراودنا ، ونحن نخوض هذا اليم ، أو الخضم من المعلومات والتقديرات المتراوحة بين سبعة آلاف سنة ، وعشرة ملايين من السنين ، والذى نريد أن نقوله إجمالاً : هو أن الخالق العظيم خلق هذا الكون الهائل حين قال : (كن) فكان .

أجل .. كان ما كان ويكون وسيكون .. كان الماضى والحال والمستقبل ، كانت الدنيا بكل مكوناتها ، وكانت الآخرة بجنتها ونارها وخلودها ، وما يتضمنه ذلك من بعث وحشر وحساب .

كان كل ما كان ، وما يكون ، وما سيكون ، في إطار من الزمان المطلق ، والمشيئة المطلقة ، والانكشاف المطلق ، فليس - بالنسبة إلى الخالق - قيود من الزمان ، أو المكان ، أو أية عوامل أخرى ، أما الإنسان فهو نقطة في بحر الحقيقة .. نقطة محكومة بالزمان والمكان ، وحدود الإدراك - كما أراده الله .

وقد خلق الله هذا الإنسان ليكون سيداً في الكون الفسيح ، الذي يتزايد ضخامة واتساعاً أو امتداداً ، دون توقف ،. بأسرع من سرعة الضوء .

ثم جعل الله سبحانه وتعالى لهذا الكون نهاية ، كما أن له بداية ، وحين تحين هذه النهاية سوف تتغير معالم الكون كله كما قال سبحانه ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُورَتُ () وَإِذَا النَّجُومُ انكَدَرت () وَإِذَا الْجِبَالُ سُيْرَتُ () وَإِذَا الْمُشَارُ عُطَلَتُ () وَإِذَا الْمُحُومُ انكَدَرت () وَإِذَا الْمُحَارُ سُجُرت () وَإِذَا الْمُحَارُ سُجُرت () وَإِذَا الْمُوعُودُةُ سُئلت () ﴿ وَإِذَا الْمُوعُودُةُ سُئلت () ﴾ [التكوير] ، وقال تعالى النَّفُوسُ رُوجَت () وَإِذَا الْمُوعُودَةُ سُئلت () ﴾ [التكوير] ، وقال تعالى

وان قدمت الكثير في مجال (البيولوجيا) أو علم الأحياء ..

وتبقى حقيقة واحدة ، نكررها دائماً ، هى نسبة التقديرات العلمية التى حاولت التأريخ لبداية وجود الإنسان على الأرض في أي شكل من أشكال الوجود .

لقد سقطت إذن فكرة (التعطور الضالق)، ونقول: (فكرة)، ولا نقول: (نظرية)، ورغم أن الناس قد فتنوا بهذا النظرية لعدة عقود من الزمن ... سقطت بكل ما ارتبط بها من أفكار أخرى، وانتصرت حقيقة (الخلق المستقل) التي قررها الدين، كما أكدها العلم، فما كان الإنسان إلا بشرا منذ كان، وما كان القرد إلا قرداً، وما كانت السمكة إلا سمكة في عالمها المائي، وكل ذلك لم يكن إلا طبقا للمشيئة الإلهية المطلقة، وإنجازا للقدرة الكُنْية(١).

وهنا يطرأ سؤال ، ربما يبدو سابقاً لأوانه في سياق هذا البحث ، وهو : هل كان وجود هذه الخليقة البشرية إرادة إلهية وأمراً إلهيا واحداً على الأرض ، أرادته القدرة الإلهية ؟ وتابعته في مراحله المتطاولة ؟ أو كان خلقاً متعدداً متقاطراً على الساحة الأرضية عبر الوجود الزمني الهائل؟

⁽١) نسبة نقول بها أخذا من قوله تعالى. ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادُ شَيْنًا أَنْ يَقُولُ لَهُ كُن فيكُونَ (١٠) أَوالِيسَ

﴿ يوم تُبدُلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمُواتَ .. (()) [إبراهيم] . هل يعقل أن يكون هذا الملك والملكوت من أجل خليقة لا تدوم أكثر من عشرة آلاف سنة ؟! أو بتعبير أدق: لا تدوم أكثر من عشرة أيام - بحساب الزمان الإلهى الذي يقرر: ﴿ وَإِنْ يُومًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةً مُمَّا تُعُدُونَ ﴿) ﴾ [المج].. إلخ ... !!

وهب أن ذلك الزمان امتد إلى مليون سنة ، أو حتى عشرة ملايين ، المان ذلك لا يعدو أن يكون بضعة آلاف من الأيام الإلهية .. وقد المثل الأعلى .

إن ملك الله عظيم ...

رإن شأن الله أعظم ...

ولهذا الإله - تقدست اسماؤه، وتعاظمت آلاؤه - سجدت الأجساد الارواح، وعنت الوجوه والعقول، ﴿ وَحَشَعَتِ الأَصُواتُ للرَّحْمنِ فَلا الرواح، وعنت الوجوه والعقول، ﴿ وَحَشَعَتِ الأَصُواتُ للرَّحْمنِ فَلا السمعُ إلا هُمسًا (الله) ومن أجل هذا كان موعد النهاية سرا مكنونا لا يعلمه إلا هو .. إنه موعد الزلزال الكوني الذي يضع النهاية لرحلة الايين السنين .. ﴿ إِنَّهُمْ يَرُونَهُ بعيدًا (وَنَرَاهُ قَرِيلًا () ﴾ [المعارج] ، المعارج أن نردد هنا قول الله سيحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ التَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السّاعة شَيْءٌ عَظِيمٌ () ﴾ [العج] ،

الإنسان بين العلم والقرآن

مرة أخرى نكرر ، ولا نمل التكرار :

لابد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطلقة في أغلب الأحيان بل هي رُوَى نسبية ، من حيث إن العقل الذي يتوصل إليها مُرتَهِنَّ بقيود من البيئة ، والزمان ، والقدرات الذاتية ، والدلائل المتاحة .. إلخ .

أما القرآن ، وهو الكلمة الإلهية النهائية في الخطاب ما بين السماء والأرض ، أو ما بين الأعلى والأدنى _ فإنه ولا شك يقدم للعقل الإنساني الحقائق النهائية في الموضوع . ولكن الأجيال تتفاوت في فهم النص المقدس ، حتى ليبدو ما استخرجه الفكر الديني _ حتى الآن من النصوص _ مناقضاً للعلم ، ولا سبيل إلى تحقيق اللقاء بينهما .

ونحن _ بادئ بده _ نقرر أن التناقض بين القرآن ، وما توصل إليه العلم من حقائق نهائية _ مستحيل ، وإنما يأتى التناقض من جهة أن العلم لم يستقر بعد على بر الحقيقة الكاملة ، بل ما زال يدور في إطار النظريات الظنية الدلالة ، إلى جانب أن التناقض قد يأ معف التفكير الذي تتسم به معالجة الأفكار .

ولننظر _ مثلاً _ إلى الجمود الذي الا عند القول بالبداية الآدمية للحياة ع حدود عشرة آلاف عام . وهو تقدير الحياة الإنسانية تراوحت ما ب السنين .

أى بُونْ شاسع بين التقديرين ؟ وهل من سبيل إلى لقاء بينهما ؟

نحن نرى أن ذلك ممكن من خلال فهم واع للنصوص القرآنية .. فَهُم يَحْرِج عن المذهب التقليدي الذي التزمت به التقاسير كلها ، ويسمى إلى استنطاق النظم القرآني ، ما دام هناك إمكان لالتقاء العلم بالقرآن .

ولسوف نحاول السير مع القرآن في حديثه عن الإنسان والخلق ، منذ الأيات الأولى التي استهل بها الوحى المحمدي ، وسيرا مع عذا الوحي إلى شاطئ الحقيقة القرآنية .

لكن .. قبل أن نشرع في هذا العرض نحب أن نقدم نوعاً من الأحافير ، أو الأعاجيب التي أشارت إليها المراجع العربية ، وهي ذات دلالة ومغزى ، يخدم سعينا لتحقيق إمكان اللقاء بين العلم والقرآن ، وإن غلب عليها طابع المبالغات ، وأسلوب الأساطير .

الفصل الثالث

نظرة القدماء إلى وجود الخليقة

إذا كان علماء السلف قد اتفق جمهورهم على أن آدم هو أول الخليقة ، وأول ما خلق من ثراب - فإن بعضهم قد ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك ، فتصوروا لهذه الخليقة وجوداً ممتداً في أعماق الزمان ، قبل آدم ، ربما إلى ملايين السنين ، والمهم أن أحداً ممن قال بهذا المذهب لم يلق نكيراً من الفريق الآخر .. بل عاشت الآراء المتناقضة جنبا إلى جنب ، حتى تلقيناها ورأينا كيف أنار الله بصيرة الأقدمين فامتدت رؤيتهم إلى أعماق الغيب قبل التاريخ على هذه الأرض ، وتنوعت رؤيتهم تبعاً لاختلاف التخيلات ، وما نحسب أنهم اعتمدوا على شواهد مادية .. بل هي محض تخيلات هداهم إليها تأملهم المنطقي في أحوال الدنيا .. (ذكر المسعودي في كتابه عن بعض العلماء : أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض قبل آدم ثمانياً وعشرين أمة على خلّق مختلفة ، وهي أنواع

منها ذوات الأجنحة ، وكلامهم قرقعة . ومنها ما له أبدان كالاسود ، ورؤوس وكلامهم دوي .

ومنها ما له وجهان ، واحد من ق كثيرة .

5

ومنها ما يشبه نصف الإنسان بيد ورجل ، وكالأمهم مثل صياح الغرانيق(١) .

ومنها ما وجبه كالأدمى ، وظهره كالسلحفاة ، وفي رأسه قبرن ، وكلامهم مثل عوى الكلاب .

ومنها ما له شعر أبيض ، وذنب كالبقر .

ومنها ما له أنياب بارزة كالخناجر ، وآذان طوال .

ويقال : إن هذه الأمم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشوين أمة . (المستطرف / ٣٩٨) .

هذه صورة من تفكير الاقدمين أو تخيلاتهم عن الماضى السحيق قبل هذه الخليقة ، فقد لفقوا أشكالاً من المخلوقات لا دليل على أنها رجدت إلا في الاحتمال الخيالي ، ومع ذلك يبقى - بعد استبعاد ما لا دليل عليه من الأشكال - أن الأرض كانت معصورة قبل آدم ، سواء بمثل تلك الاصناف ، أو بأصناف أخرى كالديناصورات ، أو الماموث أو بأوادم آخرين قبل آدم - أبينا - على ما قرره بعض العلماء ، أي : إن آدم لم يكن أول مخلوق عاقل على هذه الأرض .

ومن المؤكد أن أمما كثيرة من المخلوقات كانت موجودة قبل ظهور الإنسان ، كامم الطير ، والحيوان ، والنبات ، وهي كلها أمم بنص الآية الكريمة ﴿ وَمَا مِن دَابَةً فِي الأَرْصِ وَلا طَائرٍ يَطِيرُ بِجناحيد إلاَّ أمم امتالكم مَا فَرَطْنا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ . . (٢٠٠٠) ﴿ [الانعام] ، وإذا كان النص صريحا

في دواب الأرض والطيس - فإن النبات في نظر العلماء كائن نام ، عام ، عام اختلاف أشكاله و فلمائله ، والآية الكريمة تشيس إلى حقيقة مذهلة مد ، تاتي فاصلتها : ﴿ ثُمَ إِلَىٰ رَبُهِم يُحُشَرُونَ (٢٨) ﴾ [الآنعام] ، وفي ذلك جداد من المناقشات حفلت بها كتب التفسير .

أما عن اهتمام العلماء بالتفسيش أو بملاحظة ما يجدون صدفة ... الأرض ، ومتابعة آثار الأحياء فيها ، واستدلالهم بشواهدها على ١٠٠٠ الحياة البشرية وعهودها السحيقة ـ فذلك أمر لم تتوافر أدواته للأقدم... ولا تهيئات أسببابة إلا في عنصرنا الحديث مع تطور علوم الأسلا (الجيولوجيا) والإنسان (الانثروبولوجيا) ، والأساطير (الميثرلوجير والتحليلات الكربونية .. وغيرها .

ولكن كان للأقدمين فكرة عن الإنسان القديم ، ولم تكن أفكارهم نن فلا في تقدير تاريخ الحياة على الأرض إلى أبعد من حديث القرآن على ونرح ، وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وقوم لوط .. إلخ ،

وهذه عهود قريبة نسبياً كما سبق أن قررنا ، وهي لم تتجاوز نالف عام ، وهم معذورون قطعاً فيما ذهبوا إليه .

وقد اعتمد بعضهم على مشاهداته لقطع م "، وبقايا ه، "، عظمية، حاولوا تفسيرها ووصفها بقدر ما رزة حياة الماضين وأوصاف هيئاتهم الجسمية ، ه الذي تصف الأحافير التي عشر عليها العلم الأحافير التي وصفها السلف وجدت الآن في عهوده السحيقة ، لكن المشكلة أن شب

⁽١) الغرنوق طائر مائي أبيض طويل الساق ، جميل المنظر ، له تنزعة تعبية اللون والجمع ، غرانيق .

الآن . ولئن صح أنه وجد ، فهو وجود مقرون بالمبالغة والتزيد ، حتى حصت الحقيقة ، وضاعت معالمها ضياعاً نهائياً .

ولنذكر عينة من هذه الأتخبار ، يذكر مؤلف كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف): (قال الشميخ عبد الله ، صاحب كتاب شحفة الإلباب: دخلت إلى باشقرد ، فرأيت قبور عاد ، فوجدت سن أحدهم طرله أربعة أشبار . وعَرْضُه شبران ، وكان عندى في باشقرد نصف ثنية أخرجت لي من فك أحدهم الأسفل فكان نصف الثنية شبرين ، ووزنها ألف ومائة مثقال ، وكان دور فك ذلك العادى سبعة عشر ذراعاً ، وطول عظم عضد أحدهم ثمانية أذرع ، وعرض كل ضلع من أضلاعهم ثلاثة أشبار ، كلوح الرخام) .

وقد يكرن هذا الوصف من باب المبالغة المسرفة . لأن مشاهدة المومياوات المتحفية التى مضى عليها خمسة آلاف سنة مثلاً _ تبين لنا أن حجم الإنسان كان بنفس الحجم الحالى ، دون أدنى علاقة بما يصفه الشيخ عبد الله في كتابه المشار إليه ، ولذلك يبدو لنا أن للخيال دوراً في تضخيم حجم ما يزعم رؤيته من بقايا قوم عاد ، وربما كان ذلك من باب (الحواديت) التي جاء منها الموان وأشكال في كتاب (الف ليلة وليلة) . أو ربما كان ما وجدوه بهذا الوصف بقايا حيوان هائل وكاديناصور مثلاً ، أو الأفيال الضخمة ، التي تقاس أنيابها بالاشيار ، وزعم الراصف أنه يصف إنسانا من قوم عاد .

ويستمر الشيخ فيقول: (ولقد رأيت في بلغار، سنة ثلاثين وخمسمانة ـ نسل عاد رجلاً طويلاً، طوله أكثر من سبعة وعشرين نراعاً، كان يسمى دنقى أو ديقى، وكان ياخذ الفرس تحد إبعله، كما ياخذ

الولد الصغير، وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرش، ويقطع جلده وأعضاءه كما يقطع باقة البقل، وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعاً تحمل على عجلة، وبيضة عادية لرآسه ـ كانهما قطعة من جبل، وكان يأخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا، لو ضرب بها الفيل لقتله، وكان خيراً متواضعا، كان إذا لقيني يسلم على ويرحب، ويكرمني، وكان رأسي لا يصل إلى ركبته، رحمة الله عليه، ولم يكن في بلغار حمام يمكنه دخولها، إلا حمام واحد، وكانت له أخت على طوله، ورأيتها مرات في بلغار، وقال لى قاضى بلغار، يعقوب بن النعمان: إن هذه المرأة في بلغار، وقال لى قاضى بلغار، يعقوب بن النعمان: إن هذه المرأة العادية قتلت زوجها، وكان اسمه آدم، وكان أقوى أهل بلغار، قيل: (إنها ضمته إليها فكسرت أضلاعه، فمات من ساعته) (المستطرف / ٢٩٨).

111

090

وقد تأثرت آراء الأقدمين من العلماء بما ورد في العهد القديم من أساطير عن الإنسان القديم ، ولا سيما قصة عبوج بن عنق ، وهي أحد معالم الحياة القديمة التي كانوا يتسلون بروايتها ، وقد كان المستمعون يبهرون بتفاصيلها ، ويتصورون أنها تعبر عن واقع شهدته الأجيال القديمة .

(روى عن وهب بن منبه في عوج بن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجعلهم ، إلا أنه كان لا يوصف طوله ، قبيل : إنه كان يضوض في الطوفان فلم يبلغ ركبتيه ، ويقال : إن الطوفان علا على رؤوس الجبال أربعين ذراعاً ، وكان يجتاز بالمدينة فيتضطاها كما يتخط . أحدكم الجدول الصفير ، وعمره الله دهرا طويلاً حتى أدرك موسى عا جباراً في أفعاله ، يسير في الأرض براً وبحراً ، ويف

الفصلالرابع

حديث القبرآن

جدير بنا أن نذكر السور القرآنية التي تعرضت لقصة الخلق ، وما يتصل بها ، مرتبة حسب النزول ، لنتابع من خلال هذا الترتيب تدافع معاني الوحي القرآني ، ومنهجه في سوق الأحداث والمقائق ، كما أراد الله للإنسان أن يتعلمها ، وقد جاء الترتيب هكذا :

ملاحظات	اسم السورة	رقم المورة حسب النزول
الإشارة الأولى للإنسان	العلق	١
الإشارة الأولى للبشر	المدثر	٤
﴿ الذي خلق فسوى ﴾ (لأول مرة)	الأعلى	٧
إشارة عامة لخلق الإنسان ﴿ في أحسر تقويم ﴾	التين	**
الذكر رالأنثى ـ نطفة من ﴿ منى يمنى ■ ثـم كـان علقـة فـخلة فسوى ﴾	القيامة	٣٠
إشارة إلى الماء المهين ، والقرار المكين	المرسلات	**
إشارة إلى حضور الله في خلقه	ق	77

قدرهم . واحتملها على رأسه ليلقيبها عليهم ، فبعث الله طيراً في منقاره حجر مدور ، فوضعه على الحجر الذي على رأسه ، فانثقب من وسطه ، وانخرق في عنقده مهاخبس الله عز وجل نبيبه موسى عليه السلام بذلك فخرج إليه وضربه بعصا فقتله ، ويقال : إن موسى عليه السلام كان طوله عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ، وقفز في الهواء عشرة أذرع وضربه فلم يصل إلى عرقوبه . فتبارك الله أحسن الخالقين) .

والعجيب أن يزعم رارى الأسطورة أن عوجاً عاش ـ وهو العفيد لأدم ـ حتى عهد موسى ، أى : أكثر من سبعة آلاف سنة ...؟؟

وتمضى الأسطورة فتحكى عن عنق أم عوج فتقول: (عنق بنت آدم عليه الصلاة والسلام ؟؟)، وكانت مقردة بغير أخ، وكانت مشوهة الخلقة، لها رأسان، وفي كل يد عشرة أصابع، ولكل أصبع ظفران كالمنجلين)، وقال على أبن طالب: (هي أول من بغي في الأرض، وعمل الفجور، وجاهر بالمعاصي، واستخدم الشياطين، وصرفهم في وجود السحر، فأرسل ألله عليها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها، وذلك بعد ولادة عوج بسنتين).

إننا لم نأت بكل ما قيل عن عنق وولدها عوج ، وقد اختصرنا شيئاً من أخبارهم لكى نظهر ما بلغته الاساطير من السيطرة على عقول الناس قديماً ، وحين تأتى الاساطير في كتاب مقدس مثل التوراة - فإنها تستبد بعقول الاتباع ، وتحجب عن أبصارهم بصيص العقل ، وهو ما غرقت فيه عقول كثيرين طوال قرون عديدة

ملاحظات	اسم السورة	رقم السورة حسب النزول
الخلق من صلصال من حماً مسنون إلى آخر القصة.	الحجر	27
إشارة إلى الخلق من الطين لا شك في	الأنعام	÷ 5
إشارة إلى الخلق من الطين اللازب.	الصافات	2 2
إجمال مراحل الخلق والشيخوخة.	غافر	= 9
علاقة التراب بالنطفة ﴿ ثم سواك رجلاً ﴾	اكبف	٦٨
﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾	ليجل	7,4
الأطوار ، والإنبات من الأرض والعودة إليها.	يوح	٧٠
الحياة من الماء فرمن الماء كل شيء حي	الإنبياء	1.4
تفصيل مراحل الخلق ﴿ من سلالة من	سار ملو ل	١, ٣
طين ﴾ ﴿ بدأ خلق الإنسان من طين ■ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾	3	· <u>£</u>

ملاحظات	اسم السورة	والم السورة حسب النزول
إشارة إلى مادة الخلق في الصلب والترائب والماء الدافق الذي يضرج من بينهما	الطارق	T:
قسسة الخلق والملائكة وإبليس للمرة الأولى (دون ذكر آدم)	ص	44
الخلق والتصوير ثم قصة آدم والملائكة وابليس - (آدم يذكر للمرة الأولى)	الأعراف	A7
﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾	یس	٤٠
الماء والبشر ، والنسب والصهر.	الفرقان	٢ ع
﴿ وَاللَّهُ خُلِقُكُمْ مِنْ تَرَابِ ثُمْ مِنْ نَطْفَةً ثُمْ جَعَلَكُمْ أَزُواجًا ﴾	فاطر	£ Y
﴿ أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾	مريم	٤٣
﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ ، أدم وحياته		\$ G.
لارضية عشراض إبليس على السجود للطين . وحوار بين الله وبينه .	الإسراء	٤٩

٧٠١	الحجرات	ذكر وأنثى ـ شعوب وقبائل ـ تعارف مضارة.
e · \	الحق	تقرير كامل ونهائي عن خلق الإنسان ومراحله.
3.1	النور	﴿ وَاسْ خَلَقَ كُلُ دَابَةَ مِنْ مَاءِ ﴾ . وأشكال الخلق
6.6	الإنسان	﴿ حـــين من الدهـر ﴾ هو الماضي البشرى ﴿ لم يكن شيئًا مذكورًا ﴾
1.6	الرحمن	الخلق والبيران - ﴿ من صلصال كالفخار ﴾ خلقه فعلم فصل إنسان
7 6	وليساء	الظلَّ من ﴿ نفس واحدة وخلق منها زوجها ﴾
\\	ق غباا	الخلافة والسجود من الملائكة والتمرد من إبليس.
47	الروع	الطق من تراب ثم الانتسسار على الأرض بشراً.
· v	الانفطار	﴿ خلقك فسواك فعداك ﴾
والماستخسالال	ق عسا السورة	अ८-व्य ाट

الله بالله القرآن المناه الإرابي الإرابي الكريمين . (افرأ باسم رأك المرابية القرآن ال

وبدهي أيضا أن يثير هذا السؤال في نفس المضاطب (محمد) أشواءًا إلى محرفة لا نباية لها ، وتطلعا إلى إدراك العلاقة بين (العلق) في مهانته ، وقلة شأنه ، و (الإنسان) في مهابته وعظم شأنه ، في شخص المضاطب الإول بهذا الكلام (محمد المصطفى) صلى الله عليه وسلم .

وياتي بعد ذلك الصديث القرائي عن (الإنسان) فبإذا هو لا يذكره بلفظه .. بل يستضم لفظا آخر يبال عليه ، هو (البشر) ، وذلك في الصدورة الرابعة من التنزيل العربين ، صورة (المشر) ، وترد فيما الفظة (البشر) أربع مرات في الأيات : (٥٢) ﴿ إِنْ هَمَا إِلَّا قُولُ البَشْرِ ﴾ ، و (٩٢) ﴿ إِنْ هَمْ البَشْرِ ﴿ ١٠٤) ﴿ (٢٦) ﴿ وما هِي إِلَّا ذَكِ يَ لَلْبَشْرِ ﴿ إِنَّ هَا البَشْرِ ﴿ (٢٦) ﴿ وما هِي إِلَّا ذَكِ يَ لَلْبَشْرِ ﴿ (٢٦) ﴾ ، و (٢٦)

ولا ربي أن مداول الكلمة في الأيات الاربع يعني الخاول الخاطب بالأيات المتزلة من الوحي ، أي : الإنسان في عمومه ، ثم لم ترد كلمة

(البشر) بعد ذلك في جملة من السور بشرنيب النزول ، حشر السورة السادسة والثلاثيين ، وهي سورة اللمر ، وذلك في سياق قصة النبي صالح مع قومه ثمود ، حين قال قائلهم : ﴿ أَبِشُوا مِنَّا وَاحِدا نَتِبِهِهُ . . (17) بَهُ

، المواصل مكن نور منالق المناسق ، ومطاق المنسورة ، دون ذكر لمطهم ، ومطاق المنسورة ، دون ذكر لمطهم ، وهل مدا المنسورة الإنسان ، والإنسان ، والمنسورة الإنسان من عقر أم المنال ونا المنسورة الإنسان من عقر أم المنسارة المنال ونا المنسورة الاولى .

شريد (الإنسان) في سورة الشين ، وهي السورة السابعة والمسابعة والمسرون ذولا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لقط خلقنا الإنسان في أحسن المسرون ذولا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لقط خلقنا الإنسان في أحسن أخرج (الم إودناه أسفل سافلين () إلا الذي أمبوا وعملوا المساليات فالهم غير غير معنون () ﴾ [الثين] ، والإشارة هذا إلى (الإنسان) الذي غلق مر على وغير على الله ما لم يكن يعلم ، فانقسم هذا الإنسان إلى مستوى رفيع على . وعلمه الله شهر الله الني شويعم » ومستوى رفيع ﴿ أَسْفُلُ سَافِلِي ﴿ وهو وصف الواتي الذي يضاعلنه الوحي القرائي في مكة : أناس أحنوا فارتصوا . وأناس كذروا فاتضعوا .

ر المسارة دقيق إلى أن العلم الحديث ـ إشارة دقيقة إلى أن المسيد برع الجنين ، ذكراً كنان أن أنش ، يتوقف على مني الرجل ، لا على بريضة الراة .

و هكذا أقادت هـــذه الأيات مزياء من المرفعة بعملية الخلق وتفسيره ، فهي في الحقيقة بيان لما جمعا المعنا الأول في سورة العلق .

المارة هاي المارة المارة في المارة الاولى على تاكيد العلامة بين المارة المارة

ونزات بعد ناك سورة (ق) وهي السورة الشالة والشالاثون ـ لتفييد

حضور الله في نفس الإنسان: ﴿ وَنَعْلَمُ فِلْ لَوْصُوبِي لِهِ نَفْسُهُ وَنَحِن أَوْلِ إِلَيْهِ

من خول الرويد () أن الكيف يفلت الإنسان من قبضة الله ؟؟ ثم ياتي النص في سورة (الطارق) ليضيف مزيداً من المعلومات عن الله الدافق (المني) الذي يخرج من بين العملي والتراثي ، وهي معلومة لم تكن محروفة حتى عصرنا ، و (الطارق) هي السورة الضامسة والثلائون بزولا .

ثم نزات سورة (حم) تذكر قصة الفلق لاول مرة ، وهي السورة السابعة والثلاثون نزولا ، قال سبعانه وتعالى :

المنافعة ال

هـ مص القرآني يتضمن لاول مرة أساسيات القصة ، قصة الخلق ، من من الجالي منتهاها ، وكل ما جاء بعد ذلك من نصوص القران متحدثا عن هـ القصة ـ يضيف بعض التفاصيل التي تتري جوها ، وتوضح عفي غرامضها

والأساسيات التي نقصدها في القمنة هي :

١ – إخبار الله الملائكة بأنه سيخلق البشر ،

٠ تالسان؟ - ها وي نء وغنا - تيستا - نيف نه روي الله - الإنسان .

* المدر المالاذكة ومجمع إبليس بالسجود للمضاوق عثد اسـتـوائه

غ – سجورد اللائكة أجمعين .

٥ – لغض إبليس للسجود استكباراً .

٢ – أدعاؤه الخيرية على هذا الخارق بخيرية النار على الطين .

٧ - طرد إبليس وإمهاله إلى يوم الدين .

٨ - توعد إبليس بغواية بني آدم ، إلا الخلصين .

٠ عيد الله بجهنم لمن اتبع إبليس .

في الاسلسلات تتكرر في جميع الإضفاع الاعربي الاسلسلال السلسلال المناه من التسلسلال المناه من التباعث المناه عنه المناه من المناه من المناه عنه المناه المناه عنه المناه الم

غير أنتا تلاحظ ببارة أن القصة في سورة (هن) لم تتضمن ذكر أس أن أنتا تلاحظ ببارة إلى أن المورة (هن) لم تتضمن ذكر أرم .. بأن المتصرت على الإشارة إلى أن المطوق – موضوع الصيث – مو (بشر) بصسب، ثم جاءت سورة الاعراف اتنكر أدم المرة الاولى في الرحل القرائي، فكان ذلك تشمسيالا بعد إجمال، ومع مالاحظة أن السورتين متتاليتان، ولكي نعرض تفاعسيل القصة نتابع مناقشة كل اساسية على حدة.

الفصل الخامس

أول : إعلام الملائكة

قول الله سبحانه وتعالى للملائكة : ﴿إِنِّى خُالِقٌ بُشُراً ﴾ ، وهي عبارة تحمل كثيراً من المعانى ، ذلك أن الآية تبدأ بعبارة : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكة ﴾ ، فهي تستخدم لفظة (الرب) مضافة إلى ضمير المخاطب ، وهو : (محمد ﷺ) ، على نسق ما جاء في الخطاب الاول : ﴿ اقْرأْ باسم رَبُّكَ الّذِي خَلْقَ ﴾ ، وهي إضافة تقرب النبي من حضرة ربه ، وقدنيه من جلاله ، وهو ما جرى عليه الوحى في السور الاولى بشكل عام .

لكن .. كيف قال (ربك) ؟ وكيف تلقت الملائكة هذا القول ؟ ذلك ما لا سببيل إلى إدراكه ، وإن كان همنالك سببيل إلى تأويله : فالرب إذا تكلم فكلامه ليس بحرف ، ولا صوت ، وهذه صفة كلامه النفسى كما قررها علماء الكلام ، ولكن إدراك الخطاب الإلهى يتحقق في كل جنس بحسبه ، فإذا تلقى الإنسان ذلك الخطاب فمن خلال الحرف ، والصوت ، واللغة ، وإذا تلقته الملائكة فمن خلال قدراتها التي تختلف عن قدرات الإنسان ، لاختلاف طبيعتها عن طبيعته ، ولا مانع من أن يكون بلغة ما .. كيفما فطر الشملائكة .

أما كيف تم هذا الحوار فخوض في غمار الغيب المحجوب ، والحديث فيه اتباع لما تشابه من آيات الله ، ونسأل الله أن يباعد بيننا وبين الفتن ،

٦V

. 1 1

وان بلهمنا الـقدرة على تأويل هذه التشأبهات بما يليق بجـلاله . وكل ما يعنينا هو التـليم بصدق الخبـر ، ووقوع الحوار ، ولله في ذلك حكمة هو اعلم بها .

ولا ربب أن تلقى النبى الله الخطاب كان مختلفاً عن تلقينا له ، المنجار انه أعلم بربه وأنه ذو اتصال بالملأ الأعلى (عالم الملائكة) ، منذ جاء الروح الأمين بالوحى ، فإذا خاطب الله نبيه فإن لهذا الخطاب موقعه من نفس النبى ، حتى تكاد قدراته الروحية ترفعه إلى مرتبة الشهود ، استشفافاً لما وراء الكلمات المنزلة ، واستشرافاً للحضور القدسى ، فهو ماثل على الأرض ، وهو فى نفس الوقت يعاين من آيات ربه ما لا يعاين الجلوس من حوله ، إن كان الوحى بمحضر منهم .

أما الملائكة فحسينا من وصفهم ما جاء بشانهم في القرآن ، فهم : ﴿عَبَادٌ مُّكرَمُونَ ﴾ ، وهم لا يسبقون الله سبحانه ﴿لا يَسبقُونَهُ بِالْقُولُ وَهُم بِأَمْرِهُ يَعْمَلُونَ ﴿ يَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لَمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مَنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَقُونَ ﴿ إِلاَنبِياء] ، وهم كذلك : ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهُ مَا أَمْرِهُمْ وَيَفْعُلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ آ ﴾ [الانبياء] ، وهم كذلك : ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهُ مَا أَمْرِهُمْ وَيَفْعُلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿ آ ﴾ [التحريم] .

ووصف هم القرآن أيضاً في مطلع سورة فاطر أو (الملائكة) .. بقوله تعالى . ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَة رُسُلاً أُولِي أَجْنَحَة مُشَىٰ وَنُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ .. ① ﴾ [قاطر]

ولا ربب أن لهذه الأرصاف معانى محددة لا نستطيع أن نحيط بها علما وحسبنا هنا أن ننقل عن تفسير (المنار) سا قرره الاستاذ الإمام محمد عبده ، حين تحدث عن الملائكة ، فقال : (أما الملائكة فيقول السلف:

إنهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم ، وببعض عجوج ، فيجب علينا الإيمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم ، فعرض علمها إلى الله تعالى فإذا ورد أن لهم أجنحة نؤمن ولكننا ، أه ول : إنها ليست أجنحة من الريش ونحوه كأجنحة الطيور ، إذ لو كاد كذلك لرأيناها ، وإذا ورد أنهم موكلون بالعوامل الجسمانية ، كالدات والبحار فإننا نستدل بذلك على أن في الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقة بنظامه وأحكامه ، والعقل لا بحكم باسه حالة هذا ، بل يحكم بإمكانه ، ويحكم بصدق الوحى الذي أخبر به) .

ثم قال : (وأما الفائدة فيما وراء البحث في حقفه الملائكة ، وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهي من وجوه :

أحدها: أن الله تعالى في عظمته وجلاله يرضى المبيده أن يسألوه عن حكمته في صنعه ، وما يخفي عليهم من أسراره في حلقه ، ولا سيما عند الحيرة . والسؤال يكرن بالمقال ، ويكون بالحال والترجه إلى الله تعالى في استفاضة العلم بالمطلوب من ينابيعه التي جرت س ،نه تعالى بان يفيض منها (كالبحث العملي ، والاستدلال العقلى ، والزاهام الإلهى) ، وربما كان للملائكة طريق آخر لاستفاضة العلم ، غير معروف لأحد من البشر ، فيمكننا أن نحمل سؤال الملائكة على ذلك(١) ,

⁽۱) تفسیر المنار ۱/۲۱۲ - ۲۱۲ .

ثانيا : خلق البشر من طين

ونص إعلام الله للملإنكة يأتى هكذا ﴿إنّي خَالِق بَشُراْ مَن طَيْر [] ﴾ [ص] واستخدام الصيغة (خالق) هنا يفيد الإحداث .. أى : الإيجاد من عدم ، والسؤال هو : هل هذه الصيغة في موقعها تفيد المضي ، أو المستقبل ؟ ونرى أنه تفيد المضى ، أى : إن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلام ونرى أنه تفيد المضى ، أى : إن الله كان قد خلق هذا البشر قبل الإعلام به ، وقد راد أن يخبر الملائكة تهيئة لهم ، حتى يتابعوا أحوال المخلوق ، حلال مراحل التسوية ، والنفخ الإلهى - كيما يقعوا له ساجدين - كما أمر ق ، ولعل ذلك (الخلق) داخل في الأمر الازلى (الضالق) (كن) وهو مراح تعرف الملائكة كل تفاصيله ، إلا أن يأذن لها الله بذلك . أما بقية الاعلام فيضمن ذكر (البشر) و (الطين) ، والعلاقة بينهما .

فالدا البشر فهى تسمية لذلك المخلوق الذى أبدعه الله تعالى من الطين، وحمة في للغة من (ب ش ر)، وهو يفيد (الظهور مع حسن وجمال)، سر بز فرس: (هو أصل واحد: ظهور الشيء مع حسن وجمال، حسى البشر بشر) لظهورهم (١) وفي المعجم الكبير: البشر. الإنسان، حسر بشر) لظهورهم وقد يثني كما جاء في القرآن: ولز بنشرين مثلنا (١) أو اللامنون ، وقد يجمع على (أبشار) (١) لكن عبد عشر فيه إفراده، مع ملاحظة أن الكلمة جامدة ، لا تتصرف بوجه عبد حبود والمعنى المتناسب هنا هو ظهور هذا المخلوق من بين تراب عبد عن طين ، كما ورد ذلك في الإسراء ، والانعام ، والصافات ،

خیر سن ۱۱/۱۵۲

وكان خلقه بكل بساطة كما ظهرت النباتات ، وهو قوله تعالى في سورة نوح (السبعين نزولاً) : ﴿ وَاللَّهُ أَنْهَنَّكُم مِن الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿ ﴾ [نوح].

ومع أن كل حيوان أو طير أق عشر _ إلى آخر سلسلة الكائنات _ هو من طين ، فيإن البشر هو أبرز هذه المخلوقات ، وآكدها وجوداً ، فلذلك أطلق عليه في القرآن (البشر) .. أي : الظاهر على كل الكائنات الطينية .. يسخرها لخدمته ، ويستمد منها قُرنَةُ وقُونَةُ ، ويصارع وجودها تأميناً لوجوده .

وربعا كان إطلاق كلمة (بشر) أيضا بهذا المعنى ، وهو (الظهور) مقابلاً لما يتصف به عالم الملائكة ، وعالم الجن ، من عدم الظهور ، فهم خلق لا يُرَى ، وقد قرر القرآن ذلك بشأن (الجن) ، إذ هى كلمة مشتقة من معنى : (الاجتنان) وهو الاستتار ، والله يقول عن الشيطان وقبيله: ﴿ إِنَّهُ يُراكُم هُو وَقبيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ . . (() ﴿ الاعراف] ، فالظهور في البشر ، والخفاء في الجن _ هما حقيقة الحياة التي تعمر هذه الأرض ، على اليابسة ، والماء ، وفي جو السماء .

والعجيب أن للعربية هنا تميزاً وتفوقاً على اللغات الأخرى ، فقد حققت بهذا اللفظ (بشر) تطابقاً عجيباً مع معناه ، وكأنما كانت تستملى الغيب ، وتستقرى أسستاره ، ليمنصها هذه اللفظة ، دون اللغات الأخرى في الفصيلة السامية . بل دون ما عهدنا من اللغات الأوروبية .

فاللغات السامية كالسريانية ، والحبشية ، والآرامية . لا تعرف كلمة (بشر) ، بل ولا تعرف كلمة (إنسان) ، وإنما المستخدم فيها هو ما يؤخذ من كلمة (أدام) ، أو (بنى آدام) ، وقد عرفت العبرية هاتين

سه شير " (٣٢٥ رسوف بنحدد المعنى في سياق المعالجة .

الكلمتين ضعلاً للدلالة على (الإنسان) ، وأما (بشر) فقد جاء في سفر التكوين لفظها بالسين (بسر) ، وهي بمعنى (لحم) ، وبمعنى (نفس) ي عبارة العهد القديم : (كل بسر حي) ، أي : كل نفس حية (١) .

غير أن هذه الكلمة (بسر) على خلاف القاعدة الغالبة بين العربية والعبرية ، فنحن نعرف أن ما ينطق بالسين في العربية هو في العبرية بالشين ، مثل : سلام وشالوم ، وسماء وشماي . وطردا لهذه القاعدة كان الانسب أن تكون بالسين في العربية وبالشين في العبرية ، لكن ما حدث هو العكس .

هذا من ناحية اللفظ ، وأما من ناحية المعنى فهناك اختلاف كامل بين معنى الكلمة (بشر) في العربية ، ومعنى (بسر) في العبرية .. وهي علامة استفهام تحتاج إلى إجابة حاسمة .

وفي الفارسية استخدمت الالفاظ العربية ، مع كلمة (مرّد) ، وهي الرحيدة في اللسان الفارسي بمعنى (رجل ونفر وشخص وإنسان) ، وهي أيضا كلمات مستخدمة فيها .

رفى اللغة الأردية استخدمت كلمة (آدمى) في ترجمة كلمة (بشر)، واستخدمت كلمة (إنسان) (٢)،

وأما اللغات الغربية فمنها الإنجليزية ، وقد استخدمت كلمة (man) بمعنى (بشر وإنسان) ، وقد استخدم محمد بكثال في ترجمته للقرآن

كلمة mortal بمعنى (بشر) ، وكلمة man بمعنى (إنسان) ، فى حين استخدم المترجم عبد الله يوسف على كلمة man في كلا المعنيين . ومع أن الإنجليزية عرفت كلمتين هما : mankind و ... human being ، فإن كلتيهما ذات علاقة بمعنى (إنسان) .

وكذلك الفرنسية ، فقد جاء في ترجمة دنيس ماسون استخدام كلمة homme مقابل (إنسان) ، وفي ترجمة صلاح الدين كشريد homme : إنسان ، homme : بشر ، واقتصر محمد حميد الله على كلمة homme للمعنبين ، في حين استخدم جاك بيرك homme : إنسان ، و humain : بشر .

ولا يخفى أن المراد بكلمة mortel مو: الفانى أو الهالك ، في حين تعنى عبارة etre humain أو human being أنسانى ، فلم تعرف اللغتان ما عرفته العربية لكلمة (بشر) من تقابل معناها مع المقصود بكلمة (جن أو ملك) ، أو دلالتها على الحسن والجمال .

وقد استخدم مترجم القرآن إلى اللغة المجرية كلمة ember وهي بمعنى : (إنسان) في ترجمة كلمة (بشر) $^{(1)}$.

كما استخدمت اللغة التركية كلمة (إنسان) في المضعين(٢).

ومهما تتبعنا ترجمات القرآن في اللغات المختلفة فإننا لا نجد سوى كلمة منه في مراجعتنا لمجموعة الترجمات التي أصدرها مرجمع الملك فهد ابن عبد العزيز بالمدينة المنورة ، وقد بلغت عدتها تسم عشرة ترجمة

⁽١) معلومات مستقاة بواسطة الزميل المكتور عبد الرحمن عوف ـ رحمه الله ـ أستاذ العبرية بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

⁽٢) قرآن حكيم _ أردو نرجمة _ سيد بشير أحمد .

⁽١) ترجمة القرآن إلى اللغة المجرية _ كارنفيك عبلكون _ صورة الحجر _ ص ١٨٤

⁽٢) ترجمة القرآن إلى اللغة التركية _ مجمع اللك فهد _ المدينة للنورة _ ص ٢٦٢ .

ن ناليان الإسلامية وغيرها ، وهو دليل على أن مترجمي القرآن لا يجدون في الخالم سوى كلمة راماة المعنيين ، وهي دائماً بمعنى (إنسان) .

...

ريشي) كالملال زايكا تاكالمعتسا

ول إننا تابعنا المشعبة المالا المنها وأراقا المحدد أنها المعتدا النوا والراقا النوا النوا النوا النوا النوا المنتفية والمحدد والمنتفية والمنتفية المنتفية المنتفية والمنتفية وا

(المنافرية المرافرية و استخدمت فيها الكلمة بمعني عام ، هو (مخلوق المنافرية المنافرية المنافرية المنافرية منافرية المنافرية منافرية المنافرية منافرية المنافرية المن

مر سدر من الله ، وقوله تعالى : ﴿ قَلَ إِنْمَا أَنَا بِشُرِ شَلَّكُمْ عِلَى إِنَّى . . ٢٠٠٠)

إنس ' ، فهو مطوق متميز على كل المطوقات بالوحي النزل .

وقد جياء استخدام اللغظة بالمغيى العام في قبوله تعالى: ﴿ أَيْشُوا مَنْا مَنْ اللَّهِ مِنْ أَمْ مُعْدِينًا أَمْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ أَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّلَهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ الللللَّا اللّهُ اللَّلْمِ

واستضامت الكلمة بالمعنى الأعم في مثل قوله تعالى على اسان مريم : ﴿ أَيْ يُكُونُ إِي غَلَامُ وَلَمْ يَسَسَنِي بُشُو . . ﴿ إِنْ إِنْ أَمَا اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّا الللَّهُ اللَّا اللَّا الللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّا اللَّذَالِلْ اللَّا اللَّاللَّا الل

ولم تغري الامتعمالات القرآنية عن هذا الإطار ، مع ملاحظة المي المرت قر الوحى الكي في سبعة وعشرين موضعاً ، ولم ترد في البرص الدني إلا في أربعة حواضع ، مقتصرة على إفادة معنى (مغارق) فقط ، وهي الأيات :

١- ﴿ قَالَ إِنَّ إِنَّ إِلَا إِلَّا لِلَّهِ الْمُ الْمُسْتِهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّه الله الله

القصل السادس

أول : حقيقة الطين

أما العلين فقد جاء في مواضع مضتافة بهذا اللفظ ، والمقصود به إجمالاً: (تراب + ماء) . وقد بادر النص الكريم إلى ذكر (الماء) أصلاً لخلق البشر و والماء أحد طرفي المعادلة وفي قوله تعالى في سورة الفرقان (الصادية والأربعين نزولاً) قال سبحانه : ﴿ وَهُو الَّذِي خَلَقُ مِنَ الْماء بشرا فجعله نسبا وصهراً . . (ع) [الفرقان] ، وهي إشارة تدخل في عصوم قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلُّ شَيء حَيْ . . (ع) [الانبياء] ، وسورة الانبياء هي الثانية والسبعون نزولاً ، إلى أن ينزل النص الكريم بتفصيل حاسم في سورة النور ، وهي السورة الثانية بعد المائة ، فيقول سبحانه ﴿ وَاللَّه خَلْق كُلُّ دَابَة مَن مَاء فَمنهم مَن يَمشي عَلَى بُطنه وَمنهم مَن يمشي على بُطنه وَمنهم مَن يمشي على بُطنه ومنهم مَن يمشي على رجلين ومنهم مَن يمشي على أربع . . (ع) [النور] ، وليس وراء يمشي على رجلين ومنهم مَن يمشي على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأشكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأسكال فيما لا يدب على الأرض ، وإن تنوعت الأسكال فيما لا يدب على الأرض .

وعود إلى سورة الفرنان ـ الحادية والأربعين نزولا ـ والتى ذكر فيها (الماه) أصلاً للبشور ـ لنجد أن السورة التالية لها مباشرة في التنزيل، وهي الثانية والأربعون (سورة فاطر) ـ تذكر (التراب)، وهو الطرف الثاني للمعادة الطينية . فيقول سبحانه ﴿ والله خلقكم مَن تُراب ثُم من نُطفة ثُم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنشى ولا نضع إلا بعلمه وما يُعمَر من مُعمَر

٢ - ﴿ ما كان لِشِرْ أَن يُؤْتِيهُ اللّٰهُ الْكِتَابِ وَالْحُكُمْ وَالنّٰبُونَ . () ﴾ [ال عمران]
 ٣ - ﴿ فَقَالُوا أَيْشُرْ يَهِدُونَنَا . . () ﴾ [التغابن] .
 ٤ - ﴿ بِلُ أَنتُم بِشُرْ مُمَّنْ خَلَقَ . . () ﴾ [الماعدة] .

وخلاصة القول أن الكلمة جاءت في القرآن بمعان أربعة :

الأول: البشر هو: الظاهر على كل الكائنات (وهو المعنى الأصلي)

الثاني : المخلوق بإطلاق (وهو المعنى الأعم)

الثالث : المخلوق غير المتميز (وصف سلبي)

الرابع: المخلوق المتميز (وصف إيجابي)

ومن الواضع أن المعنى الأصلى الحقيقي هو المعنى الأول ، أما المعانى الثلاثة الأخرى فهي معان سياقية يمكن اعتبارها توسعاً في استخدام المعنى الأصلى ، وهو فيما لاحظنا أكثر شيوعاً في الاستعمال القرآني .

ولا ينقص مِن عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كَتَابِ إِنْ ذُلِكَ عَلَى اللَّه يَسِيرٌ (١) ﴾ [المدر] ، وهي أية تنضمن الكثير من اختصاصات القدرة الإلهية ، ففيها - إلى جانب (التراب) و (النطقة) - إشارة إلى الزوجية ﴿ ثُمُ جَعَلَكُمُ أُزُواجًا ﴾ . وكانها تفسير بوجه آخر لعبار السورة السابقة (الفرقان) التي ذكرت و فجعله نسبًا وصهرًا ﴾ . اى : في شكل أزواج تتكامل فيما بينها(١) .

ثم تكتمل معادلة الطين بردها إلى الارض ، باعتبارها منبت الخلق ، وذلك في سورة (طه) (الرابعة والاربعين) ، فيقول سبحانه (منها خلفًا كُمْ وَمَنها نُحْرِجُكُمْ تَارَةُ أُخْرَىٰ عَنَى إِمَا . كما قال في السورة السبعين (نوح) ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِن الأَرْضِ نَبَاتًا (عَنَى أَبُمُ يُعِيدُكُمُ فِيهَا ويُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (مِن) ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِن الأَرْضِ نَبَاتًا (عَنَى الْمُعَلِيدُ كُمُ السورة السبعين (نوح) ﴾ ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِن الأَرْضِ نَبَاتًا (عَنَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ

ويتكرر ذكر الستراب بعد سسورة (فاطر) في سورة الكهف (الثامنة والستين نزولاً) ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُو يُحاوِرُهُ كَفُرِتَ بِاللَّذِي حَلَقْكُ مِن تُرابِ ثُمُ مِن نُطْفَة ثُمُ سَوَاكَ رَجُلًا (الله الله على مسار الوحي . يقدم القرآن الحقيقة إجمالاً ، ثم يفصلها تدريجياً على مسار الوحي .

ويتعرض القرآن في سورة الحجر، وهي السورة الثالثة والخمسون نزولاً، وذلك في الآية الثامنة والعشرين ـ يتعرض لبعض أوصاف الطين: المادة البشرية، وهي قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قِسَالَ رَبُّكُ لِلْمُسَلِائِكُمْ إِنِّي خَسَالِقٌ بِشَسِرًا مِن صَلَّصَالَ مَنْ حَسَا

مُستُون (١٠٠٠) ﴾ [العجر] - لقد زادت هذه الآية المادة وضوحاً حين ذكرت أن الطين كان في شكل (صلصال من حيما مسنون) ، و (الصلصال) هو الطين اليابس ، أو هو الطين الحر خلط بالرمل ، فيصار يتصلصل إذا جف ، فإذا طبخ بالنار فهو الفضار ، وآية سورة الرحيمن (السادسة والتسعين مزولاً) : ﴿ خَلقَ الإنسانَ مِن صَلْصال كَالْفَخُارِ (١٠٠٠) ﴾ [الرحمن] .. تنفى عن الصلصال أن يكون طبخ بالنار ، وإن شبّهته بالفخار في جفافه ، والحيما : هو الطين الاسود ، والمسنون هو المبتل المنتن ، وقد زاد من صفات هذا الطين في سورة الصافات (الخامسة والخمسين) فذكر أنه في طبن لأزب (١٠٠١) ﴾ [الصافات] ، بمعنى : متلاصق أملس متماسك .

وسواء - فى الحقيقة - أن يستخدم القرآن فى تعبيره عن أصل البشر: الأرض أو التراب ، أو الطين ، أو الصلصال ، أو الحما المسنون ، فكل ذلك لا يختلف ، لأن المكونات واحدة تماماً ، فى التراب وأشكاله السابقة ، وفى الجسد البشرى أو المادة الحية .

يقول الاستاذ البهى الخولى: (لو أنك أخذت قبيضة من تراب الأرض الخصبة ، وأجريت عليها عمليات التحليل الكيماوى لوجدتها تتركب من سنة عشر عنصراً ، ولو أخذت قطعة من جسم الإنسان وأجريت عليها عمليات هذا التحليل لوجدتها كذلك تتركب من سنة عشر عنصراً - هى نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض ، وهذه العناصر هى ما يأتى

⁽۱) لا درد على هذا ما ترصل إليه العلم أخديراً في مجال استنساخ الحديوان ، وهو ما فوجئ به العالم على تنظيمة (دوللي) ، فإن إشارة القرآن إلى إنتاج الإنسان عن طريق الزرجيه ، مبير عن الطريق الرسمي لعبور الاناس إلى مجال الحياة الرضية ، وهو لا ينفى وجود ، لمرى يحاول العلم معرفتها .

البود + السليكون + النجنيز = آثار غمنية (١)

وقد تبين من جمع النسب الفتاغة ان الآثار الفسئية من (اليود، الساركون، والمنجنية) لا تشجاوز ۱۵،۰٪ للمواد الثلاث، وقد أضافت قوانم أخرى مواد أرغسية دغلت في تكوين الإنسان، ومي النصاس، والكوانيا، والسوئيا، والموليديوم، والالونيادم، والسيانيوم، والكادسيوم، والكونيا، وبنزلك تصل العناصر الترابية في الإنسان إلى أربعة وعشرين عنصرا.

فعات البشر كان من معدن الارض ، كما قال سبحانه وتعالى في البير البير البير البير البير البيرة الثانية والعشرين فزولا - أي في الوحو الكي المبير سرة السورة الثانية والعشرين فزولا - أي أي الوحو الكي المبير البيرة هو أغلم بكم إذ أنشأكم فن الأرفي . وهو المسلمسال المتشفرة من الطيس الاسبود المنسق مكذا الأرفي . وهو المسلمسال المتشفرة والمبين هذه المتشقية ، أو أن يكذب المدين في مرأى العين مسافة عائة بين المسين واللحم المبيرة والمبين في مناه أن والمبين واللحم المبيرة من الطين مادة شامدة ، والسرى في منتسم من مناه المبيرة ال

را المعلقي با أن المعلقي الإنساني على الآن ، وأن يقطعها أي المعلقي با تسالت وهي مسالت إلى المعلقة الإن المعلقي با التسالية وهي التراب المعلقي ، ومن أن المعلق عن سر التصول الذي جمل التراب أن المعلق عن المستقبي وسع الإنسان المستقبي أن وي أن يكون بوسع الإنسان إلى التراب أن المنتقب والإنباع ، فالسائ الواقع تعبير عن إمكانات قدرة الله المتفررة بالخلول والإبباع ، بالإصلاء والإفتاء .

منا عن السافة بين التراب والمادة الصية ، فأما عن السافة بين التراب والمنا عن من المرافية اعرا عن المراب الإستان المناقي المراب الإستان الميل قطب ، وهو يعلى على قوله تعالى:

﴿ فأينظر الإنسان مه خلق على خلق من مأء دافق على يغير على من يبين المأب المأبي الإنسان مه خلق على فلاء دافق على يغير عن بين الماه الأواليس ﴾ إلاسان المناقل المن

(١) في غلال القرآن - سورة الطارق

ولا يفرننا منا الإشارة إلى أن الماه قد يقصد به ما يفلط بالتراب ولا يغرب لا عال الإشارة إلى أله يبدو في ظاهره لا علاقة إله المعين المناء ويبدو في ظاهره لا علاقة إله المعيد طيئاً ، وقد يقصد به الماه إلى المبيدة بي الماه ، ويأسان ، ويأسان ، متمثة في الكائنات الحية التي تعتبر : (كبسراة الحياة) ، ويتصده العلم عن مناد اللابين من هذه الكائنات الحية في مني الرجل .. في الدفقة الواعدة تشفع في حم المرأة ، في نهاية الاتصال الجنسي .. وكل هذا صادر عن التراب ، وعائد إلى التراب .

à٧

مسغناا قلفاا: لينان

المعن ، قامع المن نمن في المناخل ولغا عن بحق الإنسان من رست المعن ، وهما: ﴿ هُوَ الله العارف ، في المن والمنافق المنافق المنافقة المنافق

ريالعد حامة .. لاري ني مستال حشالتا الاريسال هم ، دلسنال تي آن لهجي لهنه يقافع قبلجال سفا يه محقاف بدناً المحلي المقدل سائلا لهذال إلى .. وأسال الهنال الهنا لمهنه شن

، سالنا مه بها خياه بالخياه الإنساني، إذ الناطب هو العار الماه الله الماه التاريم، الماه التاريم، الماه الم

لعلا إمان فيان ما هام الهذاء الكشم حسنة فيم وما وي قبل عال في المنافع في أي المنافع في المنافع في المنافع في ا

الاحتمال الاخير هو الراجع في تظرنا لأمرين:

11

مجد ولمضا قالسه الهيئدا دلماءا يد أيبك نا: لمهاع مجرد المهاع المناه عند الماء المناه المناه

ومن المؤكد أن القصدود بأنَّ الأعراف ليس أدم وزوجه ، لأن الأيات بعدما تتحدث عن أن الزوجين جعـلا ششركاء فيمــا آتاهما من الذرية ، ولم يكن هذا من أدم وزوجه ،

و تبقى آية النساء معبرة عن الأعسل النفسي الذي انبشقت مده كل النفوس، وعلى الرغم من اختلاف الاقوال في عقيق مذه النفس، فإنتا نميل إلى أنها هي سر الله في الإنسان، وبها عمل إنسان، دونما سواه، قالتان فيما انتهى إليه تأملنا في هذه المسائة يتم على مستويين:

خلق مادى من تراب ، وهو الظق البشرى الظاهر ،

من أن يغير على عن و ينطب العلما العلم الما المعادد المستعدد على يغير من أن المعادد المستعدد على يغير من أنه الله المعادد الما المنادد من الما المنادد المنادد

نان الماء ، رسفنا قيماء نح شعبا إلى أن البحدة الماء ا

وغاا ومسقوا هو أنهو، وسرون أسرابو، وهذا هو ألوحيون رين بيذ لبوا ومسقوا وم بيذ لبوا ومسقون أسرة وسوة المودي ويبوذ لبودي ويبود المستقيم المودي ويال وي الدوري وي الدوري وي المودي وي المودي وي المودي وي المودي وي المودي وي السنول على وجودها بآثارها، ومن أثارها في تثبثن المودي البود التي وجودها بآثارها، ومن أثارها أن نبغ وجودها بأثارها وي البود التي البود التي البود التي البود النبا البود النبا البود النبا البود النبا المودي المودي المودي المودي البود البود المودي ال

وبالسار الصفاا

ن لسن الله يشبان

إذا كان الذرآن قد ذكر غلق (البشر) في أربع أيات ، فقد ذكر غلق (الإنسان) في خصص وثلاثين آية ، هي على ترتيب النزول صودعة بين النبي - فالأيات الكية هي :

؟ – أيم السورة السابعة والمسال : في المسال أحمال الإنسان أبي أحسن تغريب (ق أم أودناه أطأل سافات (﴿ ﴿ الله عَلَيْهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

ع - وفي السورة الثلاثين ﴿ أَيْحَسَبُ الإنسَانُ أَنْ يَتِوْكُ سُدْى ﴿ الْمُحْسِنُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَمْ كَانَ عَلَقَةً فَعَلَى فَسُونَ ﴿ كَانَ عَلَقَةً فَعَلَى فَسُونَ مِنْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنْ إِنَّ إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنْ إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّا اللَّهُ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّالًا إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّ إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنّالًا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا إِنَّا أَنَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَنَّا أَنَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَلَّ اللَّهُ إِنَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَلَّالًا أَنَّالًا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَنَّا أَلَّا أَلّا أَلَّا أَلّا أَلَّا أَلَّ أَلَّا أَلّالًا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلَّا أَلّ

٥ - وفي السورة الثانيّ والثلاثين : ﴿ أَلَمْ نَخْلُمُكُمْ مِن مَاء مُعِينِ ﴿ كَانَ مُعْدِنُ ﴿ كَانَ مُعْدِدُ إِن في قرار مُكِينٍ ﴿ إِنَّ إِلَى قدر مَعْلُومٍ ﴿ لَنَّ فَقَدَرًا فَعَمُ الْقَادِرُونَ ﴿ لِنَ ﴾ [الدسلات]

لَهُ أَمْ أَنْ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ﴿ وَلَقُلُ خُلُقُنَّ الإِسْلَانُ وَمُلَّمُ مِا

لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأْسُجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (11) ﴾ [الإسراء] .

١٦ - وفي السبورة الثالثة والخمسين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالَ مِنْ حَمَا مُسْنُون (٣) ﴾ [العجر] .

١٧ - وفي السورة الرابعة والخمسين : ﴿ هُو الذي خَلَقَكُم مِن طين ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلا وَأَجلٌ مُسمَى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُم تَمْتَرُونَ ٢٠ ﴾ [الانعام]

١٨ - وفي السورة الخامسة والخمسين : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًا أَمْ
 مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِن طينٍ لأَزْبِ (١١) ﴾ [الصافات] .

١٩ - وهى السورة التاسعة والخمسين : ﴿ هُوَ اللّٰذِي خُلْقُكُم مِّن تُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفة ثُمَّ مِنْ عَلْقة ثُمَّ يُخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمَّ لِتَبْلَغُوا أَشُدَّكُم مَن غُلقة ثُمَّ مِنْ عَلَقة ثُمَّ يُخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمَّ لِتَبْلَغُوا أَشُدَّكُم مَن عَلَقة ثُمَّ يُخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم مَن عَلَقة ثُمّ يُخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم مَن عَلقة ثُمّ يَخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم مَن عَلقة ثُمّ يَخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم مَن عَلقة ثُمّ يَخْرِجُكُم طَفْلاً ثُمّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُم مَن عَلقة اللّٰه عَلقة اللّٰه عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهِ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهُ عَلَيْهِ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ اللّٰهِ اللّٰهُ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهُ عَلَيْهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ اللّٰ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ اللّٰهِ عَلَيْهِ اللّٰهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ اللّٰهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَل

٢٠ - وفي السورة الثامنة والسيتين : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكُورُتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابِ ثُمَّ مِن نُطْفة ثُمَّ سؤاكَ رَجُلاً (٣٧) ﴾ [الكهف]

٢١ - وفي السورة التاسعة والسنين : ﴿ خُلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُطْفَة فِإِذَا هُو َ
 خَصيمٌ مُبِينٌ ۞ [النحل] .

٢٢ - وفي السورة السبعين : ﴿ مَا لَكُمْ لا تُرْجُونْ لِلَّهِ وَقَارًا ١٠٠٠ وَقَدُ خَلَقَكُمْ أَطُوارًا ١٠٤ ﴾ [١٥٦]

٢٣ - وفي نفس السورة : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنْ الأَرْضِ نَبَاتًا ۚ إِن ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
 فيها ويُخرِجُكُم إحراجًا (١٠٠) ﴾ [روح]

٢٤ - وفي السورة الثالثة والسبعين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانُ مِن سُلالَةٍ

قُومُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحُنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبِّلِ الْوَرِيدِ (١٠٠ ﴾ [3] .

٧ - ونمى السورة الخامسة والثلاثين : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمْ خُلِقَ ۞
 عُلى مَن مَاء دافق ۞ يَخُرُجُ مِنْ بَيْنِ الصَّلْبِ وَالتُوائِبِ ۞ ﴾ [الطارق] .

٨ -- وفي السورة الشامنة والثلاثين : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوْرُنَاكُمْ ثُمَّ
 قُلنا للملائكة اسْجُدُوا لآدُمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسْ . . (١) ﴾ [الاعراف] .

٩ - وفي السورة الاربعين : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِن نُطُفةً فَإِذَا
 هُو خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧) وَضَرَبٌ لَنَا مَثَلًا وَنَسِي خَلَقَهُ . . (٨٧) ﴾ [يس] .

١٠ وفي السورة الثانية والاربعين : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِن تُرَابٍ ثُمُّ مِن لَكُوابٍ ثُمُّ مِن لَطنة ثُمَّ جَعَلَكُم أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنتَىٰ وَلا تَضعُ إِلاَ بعلمه . . (١٠) ﴾ [فاطد]

١١ - وفي السورة الثالثة والاربعين : ﴿ أُولًا يَذَّكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ من فَلْ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (عَنَ ﴾ [مريم] .

١٢ - وفي السورة الرابعة والاربعين : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ رَفِيهَا نُعِيدُكُمْ رَفِيهَا نُعِيدُكُمْ رَفِيهَا نُعِيدُكُمْ

١٢ - وفي نفس السورة : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدُنَا إِلَىٰ آدَمُ مِن قَبْلُ فَنسِيَ وَلَمْ نَجِدُ

١٤ - وفي السورة الخامسة والأربعين : ﴿ أَفْرَأَيْتُم مَّا تُمْتُونَ ﴿ أَأَنتُم مَّا تُمْتُونَ ﴿ أَأَنتُم لَا تَمْتُونَ ﴿ أَأَنتُم مَا تُمْتُونَ ﴿ الدَاتِعَةِ] .

١٥ - وفي السورة التاسعة والأربعين : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا

مَن طِينِ ۞ ثُمُّ جَهِ عَلْنَاهُ نُطُفَهَ فِي قَسَرَارٍ مُكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةُ . ۞ ﴾ [الدسند] .

٢٥ – وفي السورة الرابعة والسبعين : ﴿ الّذِي أَحْسَنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبِدا خَلْقَ الإنسانِ مِن طِينٍ ۚ ثُمَّ جَعَلَ نَسَلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن مَّاءٍ مَهِينٍ ۚ ثُمَّ شَوْلُهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ . . ٢٥ ﴾ [السجدة] .

٣٦ - وفي السورة الحادية والثمانين : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرُّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ اللّذِي خَلَقَكَ فَـسَـوْاكَ فَـعَـدَلك ۞ في أَي صُـورة مُا شَاء رُكُبك ۚ ﴾ [الانفطار] .

٢٧ - وفى السورة الثالثة والثمانين : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلْفَكُمْ ثُمُّ رَزْقَكُمْ ثُمُّ
 يُميتُكُمْ ثُمُّ يُحْيِيكُمْ . . ۞ ﴾ [الروم] .

٢٨ - وفي نفس السورة : ﴿ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن ضَعْف ثُمُّ جَعَلَ مِنْ بَعْد ضَعْف قُرَّةٌ . . (3) ﴾ [الدوم] .

والأيات المدينة هي :

٢٩ - وفي السورة السابعة والشمانين : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكُ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعلٌ في الأرْضِ خُليفَةً . . ① ﴾ [البقرة] .

٣٠ - وفى السورة الثالثة والتسعين : ﴿ يَا أَيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبُّكُمُ الَّذِي خَلْقَكُم مَن نُفْسِ وَاحِدة وَخَلَقَ مِنْهَا زُوْجِهَا وَبِثْ مِنْهُمَا رَجَالاً كَشَيرًا وَبِثْ مِنْهُمَا رَجَالاً كَشَيرًا وَبِثْ مِنْهُمَا رَجَالاً كَشِيرًا وَبِثْ مِنْهُمَا رَجَالاً كَشِيرًا

٢١ - وفي السورة الشامئة والتسعين: ﴿ خَلَقُ الإنسَانُ ﴿ عَلَمُ الْإِنسَانُ ﴿ عَلَمُهُ الْإِنسَانُ ﴿ عَلَمُهُ الْبَيَانَ ﴿] عَلَمُهُ الْبَيَانَ ﴿]

٢٢ -- وفي نفس السورة : ﴿ خَلَقُ الْإِنسَانُ مِن صَلْصَالُ كَالْفَخُارِ
 (١٤ -- الرحدن) .

٣٣ - وفى السورة التاسعة والتسعين: ﴿ هُلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسَانَ حِينَّ مَنَ الدُهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مُذُكُورًا ۞ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُطُفَة أَمْشَاجٍ نُبْتَلِيهِ فُجعَلْنَاهُ مُسْمِعًا بُصِيرًا ۞ ﴾ [الإنسان].

٣٤ - وفي السورة الخامسة بعد المائة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ فِي رَبْبٍ
 مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ثُرابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَة ثُمْ مِنْ عَلَقَةً . . ② ﴾ [الحج] .

٣٥ - وفي السورة الثامنة بعد المائة : ﴿ يَا أَيْهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مَن ذَكَرِ وَأَنشَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا . . (١٣) ﴾ [المجرات] .

ويلاحظ في نصوص هذه الآيات أن (خلق الإنسان) جاء بلفطه في سنة عشر موضعاً وان بقية المواضع وهي تسعة عشر موضعاً ويدل السياق فيها على أن المراد بها هو (الإنسان) وليس (البشر) معيث اكتفى النص بالإشارة دون العبارة ، أو جاء الخطاب للناس لا للإنسان ، أو كان النص على آدم ، وهو في فيما نرى واول إنسان ، وكل ذلك جاء في سور: (الاعلى ، والمرسلات ، والأعراف ، وفاطر ، وطه في موضعين وفي الإسراء ، والانعام ، والصافات ، وغافر ، والكهف ، ونوح في موضعين والدوم ، والبقرة ، والحج ، والحجرات ، وانفردت الواقعة بدعوة الناس إلى التأمل فيما يفرزون من منى).

ولسوف بتضح لنا فيما بعد _ أن المراد في هذه المواضع هو (الإنسان)، وليس البشر ، والآيات الست عشرة تتحدث عن (خلق الإنسان) تارة من قي ، وأخرى من نطفة ، أو من (نطفة أمشاج) ، وثالثة (من طين)، أو

(من سلالة من طين) ، أو (من صلصال من حماً مستون) ، أو (من صلصال كالفخار) ، أو (من صلصال كالفخار) ، أو (من

وتاتى آية سورة الحج (السورة الخامسة بعد المائة) فتخاطب الناس نصا وصراحة ، فتقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيَّب مِنَ البّعثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُم مِن تُراب ثُمُ مِن نُطْفَة . . ﴾ إلى آخر الآية وهى تجمع إشارتين إلى الاصل الأول ، وهو التراب ، وإلى الاصل البديل ، وهو النطفة .

و (الناس): اسم جمع لبنى آدم، واحده (إنسان) من غير لفظه.

القرآن المكي

فإذا تابعنا بناء الصورة التي تأتي لبناتها في الآيات الملكية المنتابعة وجدنا الحديث عن البداية المرئية للإنسان، وهي (العلق) في السورة الارلى، ثم تأتي إضافة في السورة السابعة، تشير إلى ﴿ اللَّذِي خَلْقَ فَسُورُى ﴾، ثم تأتي لمحة عن المستوى الأضلاقي .. في السورة السابعة والعشرين، فهو قد خُلُقَ أولاً ﴿ فِي أَحْسَنِ نَقُومٍ ﴾، ثم ارتد إلى ﴿ أَسْفُلَ سَافِلِينَ ﴾ ثم استثنى من هؤلاء السفلة جماعة ﴿ اللَّذِينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالِحَات ﴾ ، وهي رسالة موجهة إلى معارضي الدعوة والمكذبين بالدين من كفار قريش.

ويعود الوحى إلى بيان آليات الخلق في السورة الثلاثين (القيامة) : منى يفرز نطغة تتحول إلى علقة تحمل عناصر الذكورة والأنوثة ، بحسب تقدير الله وتحديده للنوع ، وتشير السورة الثانية والثلاثون (المرسلات) (۱) مر عضم . وليس مخاراً ، لأن الفخار مو الطين المروق ، وكان التشبيه يعتفظ في الدانة على خاذ في الدلالة .

إلى نفس المعنى ، لكنها تذكر المكان الذى تتم فيه عملية الخلق ، وهو (القرار المكين) أو (الرحم) .

ثم يأتى الحديث في السورة التالية مباشرة ، وهي الثالثة والثلاثون (ق) ليؤكد حضور الله سبحانه وتعالى في وجود هذا الإنسان ، وهو ملمح تربوي ، يستطرد بعده الوحي في السورة الخامسة والثلاثين (الطارق) ليقرر أن هذا الخلق العظيم ، (خلق الإنسان) ﴿ خُلِقَ مِن مَاء دافق (آ) يَخُرُجُ مِن بَينِ الصّلُبِ وَالتّرابُبِ (آ) ﴾ [الطارق] ، والصلب : فقار الظهر ، وهي منبع الماء الدافق عند الرجل ، والترائب : جمع .. مفرده تربية ، وهي عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، وهي منبع ماء المرأة ، وهذه المعلومة كانت مجهولة للإنسان ، وبقيت مجهولة حتى منتصف القرن العشرين ، وقد تضمنها الوحي القرآني منذ أوائل هذا الوحي ، أي : منذ أكثر من أربعة عشر قرنا .

ثم تأتى السورة الشامنة والثلاثون (الأعراف) لتتحدث عن الخلّق والتصوير والتصوير والقد خُلَقْناكُم ثُم صُورناكُم ، وهما مرحلتان في عمر البشرية ، لعلهما استغرقتا بضعة ملايين من السنين ، والتصوير هنا يقابل التسوية في مواضع أخرى ، ومع ملاحظة استعمال الأداة (ثم) التي تفيد التراخي بين الأمرين ، وهو ما سنفرد له معالجة أخرى .

وتنزل في السورة الأربعين (يس) إشارة إلى ما يسبق العلق ، وهو (النطفة) مرة أخرى ، ولكن يقرن ذلك بالعجب من أن لا يعرف هذا المخلوق قدره في مواجهة خالقه .. ﴿ فَإِذَا هُو خُصِيمٌ مُبِينٌ (اللهِ وَصَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنسي خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي المعظام وهي رميم (أن قُل يُحْيِيهَا الّذي أنشأها أول مرة وهو بكُل خلق عليم () [س] .

ويواصل الوحى تعريف الإنسان بأصله فى السورة الثانية والأربعين (فاطر) فيجمع لأول مرة بين التراب والنطقة ، ويضيف أية من أياته ، وهى خلق الزوج لياتلف مع زوجه ، وهو يتابع بعلمه ما يتم بين الأزواج، وما يترتب عليه من حمل ووضع ، كما يتابع الأعمار ـ طويلة وقصيرة .

ثم يساعف التسزيل ذلك الإنسان فيسخاطب عقله وذاكرته في السورة الثالثة والاربعين (مريم) ويسسأله عن مرحلة ما قبل وجوده، إن كان لديه شيء يذكره غير العدم: ﴿ أُولًا يَذْكُرُ الإنسانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيئًا ﴾ ، فالآية ترد الإنسسان إلى ما سبقه من عدم ، وهو أنصع برهان على أنه مُحدَّدٌ بيد القدرة ، وهي إشارة تشبه إلى حد كبير ما استهلت به سورة (الإنسان) ـ التاسعة والتسعون (المدنية) .

ويلى (مسريم) في ترتيب النزول (طه) وهي السسورة الرابعة والأربعون، وذلك في قبوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُعْيدُكُمْ وَمِنْهَا نُعْيدُكُمْ وَمِنْهَا نُعْيدُكُمْ وَمِنْهَا لَخُرِجُكُمْ تَارَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ ، وكانها تدل الإنسان الباحث عن مبدأ خلقه إلى نقطة البداية التي ليس وراءها شيء يذكره مهما حاول .

فإذا نظر الإنسان إلى الأرض _ ومنها خلقه الأول _ أدركه سؤال السورة الخامسة والأربعين (الواقعة) ليقرب إليه صورة من الصقيقة ، ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمتُونَ ﴾ ؟؟

فإذا نظر إلى الأرض ليبحث عن أصله فليعلم أن جزءاً من هذه أرض تفرز إلى صلب أبيه ، وتراثب أمه ، فلقحت - فيهما - الأرض الأفن ، فكان ذلك المخلوق الباحث عن الحقيقة ، يحسبها بعيدة ، وهي بير يديه ، وفي إهابه : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (آ) ﴾ [الذاريات] ،

الإنسان يخرج من البشر

وهذا يأتي النص الكريم في السورة الثالثة والخمسين (الحجر) ليرد الإنسان إلى أصل (البشر) : ﴿ صلصال من حماً مسنون ﴾ ، ولما كان السياق في السورة يذكر (الإنسان) في مقابل (الجان) في آيتي الحجر ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حماً مسنون (و الجان خلقناه من قبل من نار السمورة (و العجر) والعجر إلى الحديث عن الأصل الترابي يرتبط غالبا (بالبشر) ، ولذلك يعود النص إلى الاصل فيقول : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إلى خالق بشرا من صلصال من حماً مسنون (و العجر) والعجر و و العجر)

والربط بين (الإنسان) و (الصلصال) سباق تتولى تفسيره الآيات التالية التي تحدد المراد بالإنسان ، وهو (البشر) .

وينبغى أن نلاحظ أسلوب القسرآن في سوَّق الحقيقة هنا ؛ فهو يذكر ، (الإنسان) هكذا معرفاً ، باعتباره الموضوع الأساسي المقصود بالذكر ، والمضاطب بالآيات ، وهو في مقابل (الجاز) المشارك للإنسان في التكليف والمسئولية على هذه الأرض .

فإذا شرع في بيان حقيقة الخلق منذ البداية ' ذكر أن هذه البداية كانت في صورة (بشر) .. هكذا مُنكراً .. باعتباره النموذج الذي أجريت عليه عمليات التسوية ، والتصوير ، والنفخ من روح الله (أو التزويد بالملكات العليا التي كان بها البشر إنساناً ـ وهي العقل ، واللغة ، والدين) .

فقبل التسوية لم يكن المخلوق البشرى إنساناً .. بل كان بداية خلق إنسان في حيز القوة ، قبل أن يكون إنساناً في حيز الفعل .

_____ إلم يكن أحيد من الجن أو من الملائكة يعلم شيئاً عن سر ذلك المخلوق البشرى ، أو عما سيؤول إليه أمره ، فذلك كله كان غيباً في علم الله وهده، وهو من اختصاص قدرته التي تابعت تنفيذ المخطط ، وتحقيق التسويات المطلوبة عبر الأجيال ، كما زودته تلك القدرة العظمي بعوامل التألق حتى صار البشر الغشيم (إنساناً) صالحاً للتكليف ، وحمل الأمانة الإلهية .

وكل ذلك الفرق الهائل بين البشر والإنسان يشى به الاستعمال القرآني، وهو فرق ما بين التعريف والتنكير في هاتين الآيتين من سورة الحجر.

ويرد هذا المعنى إجمالاً للتذكير في سورة (الأنعام) التي جاءت بعد الحجر مباشرة وهي الرابعة والخمسون : ﴿ هُو الّذِي خَلَقَكُم مِن طِين ثُمُ قَضَىٰ أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسمى عِندَهُ ﴾ .. فهو (طين لازب) ، كما في السورة التالية مباشرة (الصافات) ، غير أن بقية آية الأنعام تتحدث كما رأينا عن (أجلين) في قوله تعالى : ﴿ ثُمّ قَضَى اجلاً واجلاً مُسمى عنده ﴾ ، وقد كان تحديد المقسود بالأجلين موضع اجتهاد المفسرين ، فحصروه في ثلاثة احتمالات :

فإما أن يكون الأجل الأول أجل الموت ، والآخر: القيامة ..

وإما أن يكون الأول : ما بين أن يخلق إلى أن يموت ، والشاني ما بين الموت إلى البعث (وهو البرزخ) ..

وقيل الأول : النوم ، والثاني : الموت ، (الكشافي ؛) .

وذكر تفسير المنار (٢٤٨/٧) أن الأجل الثاني هو جل حياة مجموع

الناس الذي ينقضي بقيام الساعة ، وقيل : الأجل الخاص بكل غرد ، والأجل العام وهو عمر الدنيا .

ونحسب أن هناك احتمالاً غاب عن هذه العقديرات ، وهو أن الأجل الأول (النكرة) هو أجل الحياة البشرية السابقة على العهد الإنساني ، وأما الأجل المسمى ؛ فهو أجل كل قرد من المكلفين ، فالأول مجمل يندمج فيه الكل في واحد ، والثاني مفصل لكل قرد ، لتعلقه بالمسئولية والحساب والمصير . ولا مانع في نظرنا من إرادة ذلك في الآية .

ثم تأتى السورة التاسعة والخمسون (غافر) فتربط لاول مرة بين التراب والنطفة والعلقة . ﴿ هُوَ الَّذِي خُلَقَكُم مَن ثُرَاب ثُمَّ مِن نُطْفة ثُمَّ مِنْ عُلَقة تُمَّ يُخْرِجُكُمُ طِفْلاً ﴾ ، وهنا يذكر المرحلتين مرحلة الخلق من تراب ، ومرحلة الخلق من نطفة ، وهما مرحلتان منفصلتان في الظاهر ، وقد ربط القرآن بينهما بحرف التراخي (ثم) للتعبير عن المسافة الزمنية بينهما .

ويلاحظ أن هذا المرضوع لم يرد له ذكر في القرآن بعد سورة غافر ، إلا بعد عشر سور .. أي : حتى نزلت سورة (النحل) بإشارتها المقتضية : ﴿ خُلُقَ الإنسَانَ مِن نُطْفَة فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ ، وهي السورة التاسعة والسبعون ، سورة (نوح) التاسعة والستون ، ثم تنزل السورة الحادية والسبعون ، سورة (نوح) وفيها إشارة ذات دلالة تاريخية ومادية معا ، هي قبله تعالى : ﴿ وَقَلْ خُلُقُكُمْ أَطُوارا ([] ﴾ إبر] ، فمن الناحية التاريخية قد يراد بالأطوار المراحل الزمنية المتطاولة التي مر بها خلق البشر ، وتقلبهم في أطوار التسوية والتصوير والنفخة من روح الله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعُ وَالأَبْصَارُ وَالأَفْدُةُ ﴾ ، ومن الناحية المادية : قد يراد بالأطوار ما جاء وَالأَبْصَارُ وَالأَفْدُةُ ﴾ ، ومن الناحية المادية : قد يراد بالأطوار ما جاء

بعد ذلك مباشرة من حديث القرآن عن الجنين وأطواره في (القرار المكين) وهو رحم الأم، فحديث سورة (المؤمنون) هو بمثابة الإجابة عن سؤال نَجَمَ عن ذكر الأطوار في سورة نوح .. ما هي هذه الأطوار ؟؟.. فجاء الرد في السورة الرابعة والسبعين (المؤمنون)، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ من سُلاَلَة مِنْ طين﴾، وكان الآية تدفع عن العقل احتمال إدماج العمليتين في عملية واحدة ، فالإنسان خلق من (سلالة) نسلت (من طين)، أي: إنه لم يخلق مباشرة من الطين، فأما ابن الطين مباشرة فهو (أول البشر)، وكان ذلك منذ ملايين السنين.

وهذا المعنى هو الذي عبرت عنه السورة الخامسة والسبعون (السجدة) وهي إضافة مهمة للرد على السؤال المثار عن المقصود بد (الأطوار) في السورة الحادية والسبعين .. يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّذِي أَحْسَنَ كُلُ شَيء خَلَقَهُ وَبَداً خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينِ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسلُهُ مِن سُلالَةً مِن مّاء مُهِينٍ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسلُهُ مِن سُلالَةً مِن مّاء مُهِينٍ ﴿ ثُمَّ سُوّاًهُ وَنَفْخَ فِيه مِن رُوحة مَن اللهِ ﴾ [السجدة] .

فخلق الإنسان (بدأ من طين) ، أى : عند البداية البشرية ، ثم استخرج الله منه نسلاً ﴿ مِنْ سُلاَلَة من منّاء منهين ﴾ ، ثم كانت التسوية ونفخ الروح ، فكان (الإنسان) هو الشمرة في نهاية المطاف .. عبر تلكم الاطوار التاريخية السحيقة العتيقة .

وحسينا أن تلاحظ هنا ما يشير إلى بعض مراحل التسبوية في قوله تعالى في نص سورة السجدة : ﴿ نُهُ سُواهُ وَنَفَخَ فِيه مِن رُّوحِه رَجْعَلَ لَكُمُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةُ . . ① ﴾ [السجدة] ، فقد تُم هذا الجَعْلُ خلال مراحل التسوية ، وهو ما يفترض أن (البشر) كان في المراحل الأولى بلا سمع ولا بصر ولا فؤاد (عقل) ، تماماً كما هو حال المولود ، حين يخرج

من بطن أمه .. لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل .. لانعدام الصاجة إلى هذه الادوات في المرحلة الأولى من الوجود ، فكل ما يحتاجه الوليد هو أن تكون له شنفتان ، يمتص بهما غذاءه من ثدى أمه ، وبعد فترة _ وبالتدريج _ يبدأ في استضدام عينيه وأذنيه وعقله في التعامل مع ما حوله من عناصر الحياة ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَ جَكُم مَّنْ بُطُون أُمُّهَا تَكُمُ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السّمع والأَبْصار وَالأَفْدَة . . (٧٧) ﴾ [النحل] .

لقد خلق الله البشر أطفالاً أو كالأطفال .. بلا أسماع ولا أبصار ولا عقول ، ثم جعل لهم هذه الأدوات في مراحل التسوية المتطاولة ، حين شاءت القدرة أن تزود هذا المخلوق البشرى بما يحتاج إليه من أدوات الكمال .

بيد أن الحديث في السورة الرابعة والسبعين (المؤمنون) لم يقتصر على الإشارة التاريخية السابقة .. بل قدم وصفاً ومتابعة الأطوار تكوين الجنين ، وهو إضافة لم تسبق في أي سياق مكى ، فقال سبحانه : ﴿ ثُمُ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارِ مَكِن () ثُمَّ خَلَقَنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ عَظَامًا فَكُسُونَا الْعَظَامَ لَحْمًا ثُمُّ أَنشَأْنَاهُ خَلَقًا آخر فَتَبَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخُلْقِينَ إِنَّا الْعُظَامَ لَحْمًا ثُمُّ أَنشَأْنَاهُ خَلَقًا آخر فَتَبَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخُلْقِينَ إِنَّا ﴾ [المؤمنون] .

لقد مر النص الكريم بالمراحل المضتلفة التي تبدأ بالنطقة ، وتنتهى بالإنسان ، في هذا الإيجاز المحكم الذي يتضمن حقائق الأطوار في ذلك القرار المكين .. رحم المرأة ، وهكذا عبر البشر كل الأطوار ، فصار خلقا أخر : (إنساناً) ، ﴿ فَتَبَارَكُ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخَالَقِينَ ﴾ .

وقد نلاحظ هنا أن نص (السجدة) يتلاقى مع هذا النص ، مع فارق

الملائكة ، وسيأتي في ذلك حديث .

وفي إلسورة الثامنة والتسعين (الرحمن) إشارتان ..

أو لاهُمُّا : إلى علاقة الإنسان باللغة في مستواها البياني: ﴿ خَلَقُ الإنسَانُ ٢٠ عُلُمُهُ الْبَيَانُ ٤٠ ﴾ [الرحمن] .

وثانيهما: مزيد من التعريف بالصلصال الذي ذكر في السورة الكية (الحجر) على أنه: ﴿ صَلْصَالَ مُنْ حَمَا مُسْنُون ﴾ ، فتصف بأنه ﴿ صَلْصَالَ عَن حَمَا مُسْنُون ﴾ ، فتصف بأنه ﴿ صَلْصَالَ كَالْفَخَارِ ﴾ ، وذلك في مقابلٌ أن الجان خلقوا ﴿ مِن مَارِحٍ مِن نَارٍ ﴾ ، كما سبق أن قابل (الحمأ المسنون) بـ (نار السموم) في سورة الحجر أيضا ، وللتكرار هنا فائدة هي مريد من التعريف بطبيعة المادة التي هي أصل الخلق ، وهي (الطين اللازب) كما جاء في الصافات .

وتبقى فى المرحلة المدنية إشارة سبورة (الإنسان)، وهى السبورة التاسعة والتسعون، وقد جباءت فى قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسان حِينٌ مَن الدَّهْرِ لَهُ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا آ إِنَّا خَلَقْنَا الإنسان مِن نَطْفة أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهُ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا آ ﴾ [الإنسان].

وهو كما نرى نص يضيف وصفاً تحليلياً للنطفة ، فالأمشاج تطلق على الخلايا الانثوية ، كالبيضة الخلايا الانثوية ، كالبيضة أو البويضة ، قبل أن تندمجا لتكوين اللاقحة (وهى البويضة الملقحة) التي تكون الجنين (١) ، والإنسان خليط من هذه الخلايا ، أو الأمشاج ، وهي حقيقة لم تذكر من قبل في أي سياق ، إلا ما جاء إشارة عامة عن

الإجمال والتقصيل ، ومع انقراد (المؤمنون) بمراحل التكوين الجنيني ، وانفراد (السجدة) بمراحل التكوين الطيني .

ويبقى من الوحى المكي ما ورد في السورة الثانية والثمانين (الانفطار) من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِكَ الْكَرِيمِ آ الَّذِي خَلَقَكَ مَن قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِكَ الْكَرِيمِ آ الَّذِي خَلَقَكَ فَسُوَّاكَ فَعَدَلُكَ ﴾ [الانتظار].

وأيضا ما ورد في السورة الرابعة والشمانين (الروم) من قوله تعالى:
﴿ اللهُ الذي خَلَقَكُم مِن ضَعْف ثُمُ جَعَلَ من بَعْد ضَعْف قُوةً ثُمَ جَعَلَ من بَعْد قُوة وَ صَعْف قُوةً ثُم جَعَلَ من بَعْد قُوة وضعفا وَشَيْبَة يَخْلُق مَا يَشَاءُ وَهُو الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ () ﴾ [الروم] ، وهما تنزيلان وردا في مقام التذكير بقدرة الله ، وهيمنته على الإنسان ، ومشيشته المطلقة. ﴿ فِي أَيْ صُورة مَّا شَاء رَكِبُك ﴾ (يخلق ما يشاء) ، وتنفرد الآية الأولى بمفهوم قوله : ﴿ فعدلك ﴾ ، وهو معنى خاص باختيار الصورة التي يظهر بها الإنسان على الأرض ، بين سائر الناس ذوى الصور المختلفة أيضا ، ولكل مخلوق صورته المتميزة عن سائر الصور ، وتنفرد الآية الثانية بذكر الضعف والقوة ، وضابطهما من المشيئة الإلهية ، فلا ضعف إلا بمشيشة ، ولا قوة إلا باختياره وإرادته ﴿ وَهُو الْعَلِيمُ الْفَدِيرُ ﴾.

وبذلك ينتهى الحديث المكي عن خلق الإنسان.

القرآن المدني

ثم تأتى المرحلة المدنية ، وتبدأ بالسورة السابعة والثمانين (البقرة) ، فتذكر مرحلة أخرى من مراحل الملحمة الخالدة ، دون أن تذكر (البشر أو الإنسان) .. بل هي تركز على (آدم) الذي يهيأ لوظيفة (الخلافة) (البقرة: ٣٠ رما بعدها) وهو من أجل ذلك يعلم من اللغة ما لم تعلمه

(الملج المهين) ، و (الماء الدافق) من الصلب والترائب .

وَاخْدِرا تَاتَى السورة الخامسة بعد المائة : (الحج) - لتقدم التقرير النهائي عن قصة الخلق في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُهَا النَّاسُ إِنْ كُنتُمْ في رَيْبِ مِنَ الْبَعْثُ فَإِنَا خَلَقْنَاكُم مِن ثُراب ثُمَّ مِن نُطْفَة ثُمَّ مِن عَلَقة ثُمَّ مِن مُضْغَة مُخْلَقة وغَيْر مُخْلَقة لَمْ مَن مُضَعَة مُخْلَقة وغَيْر مُخْلَقة لَنْ الْحُمْ وَنُقرَ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَل مُسمَى ثُمُ نُخْرِجُكُم طَفُلاً ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمَنكُم مِن يُتوفِّى ومنكم مَن يُردُ إِلَى أَردُل الْعُمْرِ لَكَيْلا يَعْلَمَ مَن يُردُ إِلَى أَردُل الْعُمْرِ لَكَيْلا يَعْلَمَ مَن بُعْد علم شَيْءًا وتَرَى الأَرض هامدة فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَرَتُ وَرَبَتُ وَأَنْبَتُ مِن كُلِّ زُوْجٍ بَهِيجٍ ٢٠٥ ﴾ [الحج] ،

وهى آية تتضمن تفاصيل مهمة ، وبخاصة فيما يتطق بالمضغة ، فليست كل مضغة تتحول جنيناً .. بل قد تكون مخلقة ، وقد تكون غير مخلقة ، وكذلك فيما يتعلق بحياة الإنسان : طفلاً ، فبالغاً ، وقد يحين موته أجائذ ، وقد تمتد به الحياة إلى أرذل العمر ، وهي حقائق سبق الإيماء إليها في سورة (غافر: ٦١) ، ولكنها جاءت هنا في خاتمة التقرير عن إمكان البعث ، ودفع الريب فيه من العقول والقوب ، وتلكم هي الغاية التي سيقت من أجلها كل هذه النصوص عن (خلق البشر الإنسان) :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُو الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْمِي الْمُونَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءَ قَديرٌ ۞ وَأَنَّ اللَّهَ يَعْتُ مَن فِي الْقَبُورِ ۞ ﴾ [الحجم] .

وأخيراً ، يختم الوحى حديثه بخطاب عام موجه إلى (الإنسانية) جمعاء، من كل الألوان ، والأجناس ، والأصفاع ، تحقيقاً لعموم الرسالة ، وتأكيداً لمبدأ المساواة المطلقة بين جميع الناس ، وإعلاناً للقاعدة الإلهية

التى سيتم على أساسها محاسبة الخلائق .. يوم الموقف العظيم .. جاء ذلك في سيورة الصبورة الشامنة بعد المائة ، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خُلَقْنَاكُم مَن ذَكَر وَأَنْفَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكُرُمَكُمْ عند اللَّهَ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ " ﴾ [الحجرات] .

إن هذا البيان الإلهى نداء إلى جميع (الناس) يذكرهم بوحدة الأصل ، فهم جميعاً قد نسلوا من ذكر وأنتى ، هما آدم وزوجه حواء ، باعتبارهما أول من تألقت فيه صفات (الإنسان) من سلالات البشر ، ولا النفات إلى ما سبقهما من السلالات والأجيال ، فهما في الواقع المنبع الذي تدفقت منه جماعات (الناس) على هذه الأرض ، من بني آدم .. أي : من ظهره ، وقد جعلهم الله شعوباً وقبائل ، فهم أصل وأحد ، ورجود متنوع ، وعليهم وقد أدركوا هذه الحقيقة _ أن يتعارفوا بحكم ما بينهم من قرابة ، فلا فضل لأحد منهم على غيره من شركائه في الأصل بأي اعتبار مادي ، وإنما يتفاضلون عند الله بالتزامهم لأوامره ، واجتنابهم لمحارمه ، وطاعتهم المطلقة له ، وبعبارة أوضح : بألا يأكلوا من الشجرة التي حرمها عليهم ! المائي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

1.1

الفصل الثامن

الطريق إلى الجنة

ملاحظات على العلاقة بين البشر والإنسان :

حقيقة لا ريب لدينا فيها: هي أن بين (البشر والإنسان) عموماً وخصوصاً مطلقاً ، ف (البشر) لفظ عام في كل مخلوق ظهر على سطح الأرض ، يسير على قدمين ، منتصب القامة ، و (الإنسان) لفظ خاص بكل من كان من البشر مكلفاً بمعرفة الله وعبادته ، فكل إنسان بشر ، وليس كل بشر إنسانا ، والمقصود هو طبعاً المعنى الأول الذي استعملت وليس كل بشر إنسانا ، والمقصود هو طبعاً المعنى الأول الذي استعملت فيه الكلمة (بشر) في آيات القرآن ، وهو الظاهر أو المتحرك مع حسن وجمال .

وقد جاءت في القرآن كلمة اعم من : البشر والإنسان ، وهي كلمة (الأنام) ، وتعنى كل مخلوق على ظهر الأرض ، عاقلاً أو غير عاقل ، وإن كنان المفسرون يرون أن الكلمة تعنى في قبوله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا للأَنَامِ ۞ ﴾ [الرحمن] : الجن والإنس ، وهما الثقلان المخاطبان ، كما هو وارد في هذه السورة المدنية .

وجاء أيضاً في سورة (البينة)، وهي سورة مدنية، وهي السورة الحادية بعد المائة نزولاً - إطلاق لفظة (البرية) على (الخلق)، والجمع: برايا، قال الله سبحانه وتعالى في وصف الكافرين والمشركين:

﴿ أُولِنِكَ هُمْ شُرُ الْبَرِيَّةِ ﴿ ﴾ [البينة] ، وقال في وصف المؤمنين : ﴿ أُولِنِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿ ﴾ [البينة] .

ونستطيع أن نقرر مع علماء الإنسان (الانثروبولوجيين) أن الأرض عرفت هذا الخلق الذي ظهر على سطحها منذ ملايين السنين ، تختلف في تقديرات العلم باختلاف عمر الأحافير ، ونتائج التحليلات العلمية . وقد أطلق العلماء على هذا المخلوق خطأ أو تجاوزاً لقب : (إنسان) ، فحقالوا : إنسان بكين ، أو إنسان جماوة ، أو إنسان كينيا ، أو ما سوى ذلك من الإطلاقات التي تعنى مراحل تكوين (البشر) بإطلاق القرآن ، واستخدام كلمة (إنسان) في وصف هؤلاء ليس إلا على سبيل التوسيع ، كما استخدمت كلمة (بشر) للدلالة على معنى (الإنسان) توسعا أيضا ، وإلا فاللغظ الدقيق بلغة القرآن ، والذي ينبغي أن يستخدم في تسمية تلك المخلوقات المعتيقة التي تدل عليها الاحافير مده (البشر) ، فواجب أن يألفا : بشر بكين ، وبشر جاوة ، وبشر كينيا ، وبشر النياندارتال .. الخ .

أما (الإنسان) قلا يطلق بعضهوم القرآن إلا على ذلك المخلوق المكلف بالتوحيد والعبادة لا غير ، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عليه السلام ، وآدم على هذا _ هو (أبو الإنسان) ، وليس (أبو البشر) ، ولا علاقة بين آدم والبشر الدين بادوا قبله ، تمهيداً لظهمور ذلك النسل الآدمي الجديد ، اللهم إلا تلك العلاقة العامة أو التذكارية ، باعتباره من نسلهم .

ولامر منا وجدنا أن القرآن لا يضاطب البشر .. بل يضاطب الإنسان ، والتكليف الديني عنوط بصغة (الإنسانية) ، لا بصغة (البشرية) ، فلم يعد للبشر القديم وجود منذ ظهر آدم عليه السلام ، وتناسلت ذريته ، وورثت الأرض وما عليها .

ولأمر ما أيضاً وجدنا أن كلمة (البشر) جامدة لا تتصرف اللهم إلا بالتثنية والجمع في قليل الاستعمال على حين أن كلمة (إنسان) متصرفة مرنة وردت في القرآن بصور مختلفة وهي مفرد جمعه: اناسين وأناسى وقد استعمل مصغراً فقيل: أنيسيان والإنس: اسم جماعة الناس والجمع أناس والواحد: إنسى .

والناس: اسم جمع من النوس، وهو الحركة .. واحده: إنسان من غير لفظه، ويقال للمرأة إنسان، ولا يقال: إنسانة، وإن شاعت على ألسنة العامة. وكل ذلك أكسب الكلمة مرونة في الاستعمال.

وليس يبعد أن نفترض أن الخالق سبعانه ـ وقد مضت مشيئته بتفرد آدم وذريته بالسيادة على الأرض ، والنهوض بأصر الدين ، وإقامة التكاليف ، وفى مقدمتها التوحيد ـ قَدَّرَ سبعانه فناء كل البشر ، من غير ولد آدم ، وذلك بعد عزل السلالة الجديدة المنتقاة فى الجنة ، حتى تتم إبادة جماعات الهمج البشرية ، لتبدأ بعد ذلك الملحمة الإنسانية ، بطليعتها المصطفاة : آدم وحواء ، وبدأ التكليف داخل الجنة ، وبدأ الصراع بعد أن أخليت ساحته من العناصر الطفيلية التي لم يعد لها دور .. بل التي انتهى دورها ، ليبدأ على الأرض دور جديد .. لكن ! كيف بدأ هذا الدور ؟.. أو كيف استهل ذلكم العهد ؟

ذلك ما لا سبيل إلى تصويره إلا من خلال الكلمات المجردة ، ولا دور أيضاً للخيال في رسم صورته إلا من خلال الإيمان المطلق بعالم الغ ، فذلكم مشهد غيبى تم قبل الزمان الإنساني بزمان إلهي ، حين بأن يكون الكون .. فكان .. كأن كل ما كان ، وكل ما يكون أ

1 1

r.y.

عدل الزمان ، ربعد أن ينتجي هذا الزمان ، فيبدأ للرجود تقريم زمني أغر ه فيوم ثبدل الأرض غير المأرض و السُفوات » .

مين الده الله سبطة كل الذراري التي قدر أن تخري من عساب أدم المين الدي فدر أن تخري من عساب أدم المين الدي فدر أن تخري من المين المين المين المين المين المين المين المين المين الدين الدي المين المين

وأسرعت الذرات بالشول أمام الجلال الإلهي ، فالقي الله - سبستانه -على المشهد الهائل سؤالا وأحداً هو الذي من أجله كنائت الدعبوة إلى المضور

قال الله : الست بربكم ؛

وظفوا السؤال ووعوه فقالوا جميعاً في صوت واحد : بلي .. شهدنا . وقال الله مبيئا الحكمة من هذا الحشد : ﴿ أَنْ تَقُولُوا يَوْمُ الْفَيْامَةُ إِنَّا كُنَّا عِنْ هذا غنافلين (١٧٧) أو تقبولو ا إنْسَا أشرك آباؤن من قبل وكنا ذرية من بضحم. أفيلكنا بما قبل الميطلون (٢٧٠ ﴾ [الاعراف] .

ان النص القرآني يدوى حكاية هذا الشهد الكوني الرهبين، وهو يطلب هذا النبي يخلا ويسلسه أن يذكر المؤمنين به فرواد أخذ زيك من بني آده من فهروهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم . . (TV) ته [الاعراف] .

بعبوديته ش: إلها ، ورباً ، وحلكما ، وستكون هذه الصورة هي أخب الاول أو المستند الرئيسي في مصلكمة كل أدمى يهم القيامة : ﴿ افراً كُنتُ من كَانِهُ اللَّهُ اللَّاللَّا اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللللّهُ

مَيْرَانَ وَرَاا وَلِكَ الْكُرْمُ ، تَقِيْلُمُا مُعْصِلُمْ فِي مَاكِمُ الْمُوا اللّهِ اللّهُ وَمَالُوا اللّهُ نقطة البيداني في رحلة الإنسان نصوا المرعم ، ميوما القام من الله فيه وسير بين جدارين مقرارين ، بيدار السئولية الجمعية في الدنيا .. وجدار المسئولية الفردية في الأخرة .. وبهذا اختلف الإنسان عن البئي.

إن الدين يتضعن تكاليف تضعى (الإنسان) باعتباره فردا . كما تضعي النالين ينطب مختصا الله بين العابر والميث التفريق بين الغرد والميثين بين الغرد والميثين البرار في استعمار كلمة (البشر)، ففي إطار (البشرية) لا تفريق بين الستويات أو الاسماء، إذا افترضنا أن البشر عوفوا شيئا استعما بين الستويات أو الاسماء، إذا افترضنا أن البشر عوفوا شيئا استعما ككل فرد فيو أمر غير بعيد ، لانهم كانوا مجتمعا حيوانيا . كل فرد فيه ككل فرد ، وكل فرد بمثابة أن قصاعة ، لا اعتبار الفروق الفردية .

الله المناسبة المناس

الماليان أن ندرك كذال أذا الذمن في هذا الجال!

السُنَةُ كالسُنَة ، والف سنة ، أو حتى مليون سنة م كيوم واحد ، لا معنى ليدايته أو نهايته ، ولا وظيفة له وقد عدم موضوعه ، ومن المعروف أن بعض الكائنات التي عاشت في الكهوف المظلمة فقدت قدرتها على الإبصار، إذ كانت الحياة بالنسبة إليها ظلاماً في ظلام .

وقد عشنا في حياتنا تجربة تقرب إلينا هذا المعنى ، حين ساقتنا الظروف التعيسة إلى محبس (زنزانة) في الاعتقال السياسي (عام ١٩٥٥) .. كانت زنزانة مظلمة .. لم نكن ندري فيها صرور الأيام ، ولا حدود الشهور ، فقد تساوي الليل والنهار ، وضاعت المعالم والآثار .

وبين أيدينا شواهد قرآنية على صواب ما نذهب إليه: ذلك أن قصة الخلق التي جاءت في سورة (ص) تعطيفا الإشارة الأولى إلى الدليل على تمادى العهود التي عاشتها البشرية في ظلام الزمن السحيق، أو في زنزانة ذَيّاك الزمن .. يقبول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةَ إِنِّي خَالَقٌ بَشُرا مِن طين (٧) فَإِذَا سَوِيّتُهُ ونَفَخَتُ فيه من رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدُين (٧) ﴾ بَشُرا مِن طين (١٠) مو (آدم) عليه [م] ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن هذا (البشر) هو (آدم) عليه السلام ، وأن الله سبحانه وتعالى كنف بعض ملائكته أن يجمعوا له من تراب الأرض ، من جميع أخلاطه وأنوانه . كما ذكرت الروايات الواردة في الطبرى ، نقالاً عن الإسرائيليات . ونقل عنه من جاء بعده ، وأن الله خلق هذا البشر ، وسواه ، ونفخ فيه من روحه ، فكان آدم الذي أسجدت له هذا البشر ، وسواه ، ونفخ فيه من روحه ، فكان آدم الذي أسجدت له

والواقع الذي عبرت عنه الأيتان - في نظرنا - هو أن الله سبحانه خلق (أو أراد خلق) البشر من الطين ، وأخبر مالائكته بهذا الخبر ، أو الإرادة

العلوية : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشُوا ﴾ . وهذه هي المرحلة الأولى في بداية الخلق الإلهي . وكلمة (البيشر) هنا لا تعني فرداً واحداً ، بل هي - بحسب الأصل - تطلق على أكثر من واحد ، لدلالتها على الجنس ، وقد حدد القرآن الصورة الأولى لخلق الكائنات بأنها خلقت أزواجا ، فقال سبحانه : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمُ أَزُواجا مَ ﴾ [النبا] . وذلك انطلاقاً من الأرض : ﴿ وَاللّهُ أَنْبَتُكُم مَنَ الأرض نباتًا ﴿ وَمِن كُلّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَرُون ﴿ وَاللّهُ أَنْبَكُم أَرُواج مِتنوعات ﴿ وَمِن كُلّ شَيْء خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَرُون ﴿ الدعا] . والداريات] ﴿ وَمِن كُلّ الشّمَ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَغَلّكُمْ تَذَكّرُون ﴿ الدعا] .

البرهان اللغوى

وتأتى بعد ذلك مرحلتان في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سُوِّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ وهي آية مصدرة بأداة ظرفية زمانية هي (إذا) ، وهي ظُرف لما يستقبل من الزمان ، ويمكن أن يكون هذا الزمان لحظة ، كما يمكن أن يكون دهرا طويلاً ، والقدرة التي تنجز هذا الخلق هي القدرة التي تقول للشيء (كن فيكون) ، أي : القدرة الكُنيَّة التي لا يحكمها الزمان ولا المكان .. بل هي التي خلقت الزمان والمكان ، ونحسب أن استخدام (إذا) في هذا السياق لا يبعد عن أن يراد به ملايين السنين بحساب الزمن الدنيوي ، وإن كانت هذه الملايين لا تعدو أن تكون أياماً معدودة في حساب الزمن الإليي ، كما أنها مرت مجرد كتلة في ظلام دائم ، لم تلمع خلاله أشعة العقل ، ولا أضواء المعرفة .

وقد استخدمت (إذا) في القرآن للدلالة على المستقبل القريب والمستقبل البعيد سواءً ، فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكُعُوا لا يَرْكُعُونَ

(3) ﴾ [الرسلات] لا تزيد فيه مساخة (إذا) الزمنية على لحظة ينطق فيها الامر (اركسوا) إيولكن قوله تعالى و أحتى إذا أخذت الأرض زُخُرفُها وازيت . (3) * إيوني] تعتد فيه المسحة إلى زمان غير معلوم ، وكذلك في الأبات:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُورَتُ () ﴾ [التوبية ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتُ () ﴾ [الانتظاء] ، و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَعُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحدةٌ () ﴾ [الماقة] .. تتراحب في هذه الآيات مساحة الظرف إلى ما شاء الله ، وهو استخدام قبرآني مستقبلي .. تحسب أبعاده بالسنين خعروفة لنا ، فاما إذا عبرت عن اللستقبل في داخل الماضي السحيق فيتلكم هي المشكلة التي يستحيل حسابها ، ومن هذا القبيل تأتي (إذا) في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوْيَتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾ ظرفا زمنية تعبيراً عن إرادة أزلية تمضى في تحققها عبر ملايين السنين ، تسوى ذلت المخلوق ، وهو جنس (البشر) ، تحققها عبر ملايين السنين ، تسوى ذلت المخلوق ، وهو جنس (البشر) ، ثم تزوده بنفخة الله الروحية ليكون عندنذ (الإنسان) الذي تسجد له الملائكة ، الإنسان الذي يدخل بوابة الزمن ، ويبدأ حضوره وحضارته .

ومعنى ذلك أن خلق الإنسان تم عبر ثلاث مراحل هائلة ، هى (الخلق ، والتسوية ، والنفخ) ، ومن السذاجة ن نفسر هذا النفخ بأنه بث الروح في الجسد ، فقد حدث ذلك في مرحلة (الخلق) الأولى ، التي أحالت التراب أو الطين إلى مخلوق ظاهر (بشر) يتصرك على الأرض بالروح الحيواني ، كما تتحرك سائر الكننت من حشر ، وطير وحيوان ، ثم تناولت القدرة ذلك المخلوق في المرحلة الثانية (بالتسوية) أو ما يمكن تشبيه بهندسة البناء وتجميله ، وهي سرحلة التعديل المادي أو الظاهرى وقد استغرقت ملايين السنين ، واله المع بتفاصيلها ، ثم جاءت المرحلة الثالثة للهندسة الداخلية ، وهي المتعثلة في ترويد المخلوق السوى

بالملكات والقدرات العليا ، التي جوهرها (العقل) ، والحياة الاجتماعية ثمرة العقل ، واللغة وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع من العقلاء ، وبذلك اكتمل بناء (الإنسان) ، فكان (آدم) هو أول (إنسان) ، وطليعة سلالة التكليف بترحيد الله وعبادته .

ومما يستدل به على هذه المراحل وتكاملها استعمال القرآن لأداة التراخى (ثم) في ربط أجزاء الجملة في سبورة السجيدة ، مشار في قوله تعبالي في ربط أجنان من طين ش ثُم جَعَلَ نَسْلُهُ مِن سُلالَة مِن مَاء مُهِين ش ثُم شَعَالَ السَّدُهُ مِن سُلالَة مِن مَاء مُهِين ش ثُم سُواًهُ وَنَفَخ فِيه مِن رُوحِه . . ث ﴾ [السجيدة] ، والأداة (ثم) للترتيب مع التراخى ، وكان استعمالها في هذا السياق ترجمة لمفهوم الزمان المتطاول الذي عبير عنه الظرف (إذا) ، في مقابل استخدام الفاء أو الواو في ربط أجزاء أخرى من الأيات ، تعبيراً عن التعقيب أو مطلق الجمع (١) .

بل إن هذا التراخي يتجلى في سورة (المؤمنون) في قوله تعالى:
﴿ وَلَقُدُ خُلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلالَة مِن طَين (١٠) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَطْفَةٌ في قَرار مُكين الْعَظَامُ لَحْما ثُمَّ أَنشَأْناهُ خَلَقْنا الْعُظَامَ لَحْما ثُمَّ أَنشَأْناهُ خَلَقًا الْعُظَامَ لَحْما ثُمَّ أَنشَأْناهُ خَلَقًا الْعَظامِ لَحْما ثُمَ أَنشَأْناهُ خَلَقًا آخر .. (١) ﴿ [الزمنون] ، ولنستامل استعمال (ثم) في الآيات . بجانب استعمال (الفاء) ، فبين (لخلق) من الطين و (الجَعْل) ﴿ نَعْفَة في قَرار مَكين ﴾ _ مسافة زمنية ، لا يعلمها إلا الله استغرقتها عمليات التسوية ، وهذا (الجَعْل) تعبير عن جانب من استكمال (الخلق) ، ثم تكون النطفة علقة ، ولعل تقدير ذلك تم في زمان متطاول أيضاً .

⁽١) التعقيب تعبير عن تتابع "تحداك ، بعضها في إثر بعض دون فاصل طويل من الزمن ، وعو وضيعة (الواو) عبي لا تقبد وعو وضيعة (الواو) عبي لا تقبد ترتيباً ولا تعقيباً

وتذكر الآية بعد ذلك عمليات تخليق الجنين ، وهي عمليات متابعة لا يغصل بينها سوى اشهر أو أيام معدودات .. زمن قصير نسبياً .. بين العلقة والمضغة ، وبين المضغة والعظام ، وبين العظام واللحم ، وذلك كله معطوف بالفاء ، ويعود السياق بعد ذلك إلى استخدام (ثم) للتعبير عن طول الفترة الزمنية بين ما سبق ، وما سوف يأتي بعد : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْفَاهُ خُلُقًا آخْسَ قَتْبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ . والمعنى التاريخي لإنشاء هذا الخلق هو النقلة من البشر إلى الإنسان ، وهو خلق آخر فعلاً ، إلى جانب احتمال أن يكون المراد هو المولود الجديد .

ويمخس السياق ملتزماً نفس الإيقاع البطىء: ﴿ ثُمُّ إِنْكُم بَعْدُ ذَلِكَ لَمَيْنُونَ ﴿ ثُمُّ إِنْكُم يَوْمُ الْقِيامَة تُبَعَثُونَ ﴿ ﴾ [الزمون] . لقد عبرت (ثم) في الآيتين الأخيرتين عن زمن طويل ، هو في الآية الاولى (عسمر الإنسان) الذي يعينه حتى الموت ، الذي يضع نهاية للحياة المقدورة لذلك الكائن ، وهو في الآية الثانية مدة ما بيننا وبين القيامة والبعث .

ولنقرأ أخيرا آية الأعراف ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمْ صَوْرَنَاكُمْ ثُمْ مَوْرَنَاكُمْ ثُمْ مَرَنَاكُمْ ثُمْ اللّه اللّه الله المحدود الآدم . . (11) ﴿ [الأعراف] . وهي آية تعبر عنها هما : (الخلق والتصوير) ، وبينهما فيما نتصور آماد هائلة ، تعبر عنها الأداة (ثم) ، ويعطف القرآن خطاب الله سبحانه للملائكة باستخدام (ثم) ، وهو في رأينا تعبير عن أن الأمر بالسجود لم يكن بعد مرحلة التصوير مباشرة ، وهو ما يعني صرحلة التصوية . بل جاءت قبله مرحلة (النفخ من روح الله) ، وقد أوما إليها استخدام (ثم) في صدر الجملة في ثم زود بروح الله) ، وقد أوما إليها استخدام (ثم) في صدر الجملة الألم زود بروح الله) ، وقد أوما إليها استخدام (ثم) في صدر الجملة الله لا سجود الله للن زود بروح الله .

وبرغم ذلك قد يعبر النص القرآني عما شانه التراخي ـ بالفاء ، فهو

يضمنها معنى (ثم) ، أو بتعبير أدق: يوظفها في موقع (ثم) ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُهَا الْإِنسَانُ مَا غَرُكَ بِرِبَكَ الْكَرِيمِ آ اللّٰذِي خُلُقُكُ فَسُواكَ فَعَدَلُكَ آ فِي أَي صُورَةً مَا شَاءً رَكِّبُكَ (﴿ ﴾ [الانفطار] ، وقد يسوغ هذا التضمين أن المخاطب _ وهو الإنسان _ لا يرى في ذاته سوى مخلوق مكتمل ، خلقا وتسوية ، وعدلا ، فهو يرى اندماج هذه المراحل في ذاته ، ولذلك لاق أن يضمن (الفاء) معنى (ثم) المتراخية .

وقد تفسر هذه المراحل في سورة الانفطار على أنها خاصة بأحوال الجنين في بطن أمه ، كما يقول الإمام القرطبي : (حَلَقُكَ .. أي : قدر خَلُقُكَ من نطفة ، فسواك : في بطن أمك ، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك ، فعدلك .. أي : جعلك معتدلاً سوى الخلق .. وقرأ الكوفيون : عاصم وحمزة والكسائي : فعدلك .. مخففاً ، أي : أمالك وصرفك إلى أي صورة شاء ، إما حسناً وإما قبيحاً ، وإما طويلاً وإما قصيراً) .

ولسنا مع هذا التوجيه ، مع أنه يحل مشكلة التراخى مع الفاء ، لأن الاسلوب القرآنى درج على استخدام كلمات الخلق والتسوية والنفغ حاصة باحوال البشر منذ وجدوا ، إلى أن صار البشر سوياً .. أى : إنساناً اصطفاه الله ، وناط به تحقيق رسالة العبودية شرب العالمين .

ترى ؛ كم من الأجيال البشرية لزم لعمليتي التسوية ، والنفخ ، حتى كان آدم ذلك الإنسان الكامل الناطق ؟!

لا نبالغ إذا قلنا : إن ذلك اقتضى مئات الألوف من الأجيال ، وقد سجل كل جيل بصمته المتميزة ، على طريق الاكتمال ، ولا سيما في مجال العقل، واللسان ، والجمال .

الفصلالتاسع

إبرهان التكرار

الإنسان مرة أخرى

وضح لنا مما سبق أن (الإنسان) هو المقصود من التكليف الدينى ، وأن (البشر) وهم طلائع الخليفة ، لا مكان لهم في عائمنا ، لانهم بادوا ، ودرست آثارهم ، فلم تبق منهم سوى أحاديث وأحافير تدل على أنهم كانوا موجودين ، منذ عصور جيولوجية متقادمة ، فلما قضت إرادة الله بإيجاد هذا الخلق الإنساني ـ قدر خلق آدم ، وهو مستوى خاص جدا من (البشر) ، مرود بأدوات كأملة من العقل واللغمة والعاطفة ، وملكات الإدراك والضمير ، والإرادة ، والاستعدادات الفطرية والغريزية ، للتفرقة بين الخير والشر ، وكل ذلك ثمرة من ثمرات النفضة الإلهية التي أتم الله بها خلقه ، وهيأه ليعيش في ضوء المعايير الدينية التي أرسل بها الانبياء ، منذ آدم إلى مصمد عليهم جميعاً أضضل الصلاة والسلام ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّه اصطفىٰ آدَمَ ونُوحُا وَآلَ إِبْراهِمِمُ وَآلُ عِـمُـرُانُ عَلَى الْمَالُمِينَ الْمَالُمِينَ وَاللَّهُ عَمَانَ]

رمقتضى ذلك أن النوع البشرى قد انقرض ليحل محله رتبة أرقى هي رتبة (الإنسان) باعتباره الطور المحسن من أطوار البشر ، والجيل المختار للمسيرة الجديدة على طريق التوحيد ومعرفة الله ، ثم أطلق على

إلى إلى هذه الرتبة بنو آدم ،

ولقد نجد في القرآن دليلاً قاطعاً على صحة هذا المذهب، حين نجده محنيا بالإنسان متابعاً لوصف كل أحواله ، في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، على حين أنه لم يذكر (البشر) بوصف واحد ، وهو سلوك راضح الدلالة على صدق التفرقة بين المستويبين ، ولننظر الآن إلى تصوص القرآن الواردة بشأن الإنسان ، بحسب ورودها في ترتيب المصحف :

قال تعالى

١ - ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخْفَفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (١٦٠ ﴾ [النساء]

٢ - ﴿ وَإِذَا مِسْ الإِنسَانَ الطُّرُّ دَعَانًا لَجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائمًا عَلَمًا كَشَفْنًا عِنهُ ضُرَّهُ مَلَّ كَلَاكُ زُيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آ) ﴾ [بونس].

٢ - ﴿ وَلَئِنْ أَذَفْنَا الْإِنسَانُ مِنَّا رَحْمَمَةُ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَسفُ وسُ
 كَفُورٌ (٦٠) ﴾ [مر.]

٤ - ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانَ عَدُرٌّ مُبِينٌ () ﴾ [يوسف] .

ه - ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظُلُومٌ كَفَارٌ ١٠٠ ﴾ [إبراميم]

٦ - ﴿ خلق الإسانُ من نُطُفة إِفَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ١٠ ﴾ [النطر]

٧ - ﴿ وَكَانَ الْإِسْمَانُ عَجُولًا ١١ ﴾ [الإسراء]

٨ - ﴿ وَكَانَ الْمُ سَانُ كَفُورًا ﴿ ١٧ ﴾ [الإسداء] .

9 - ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضْ وَنَأَىٰ بِجَانِيهِ وَإِذَا مَسْهُ الشُّرُ كَانَ يَنُوسًا (مَن ﴾ الإسران أعْرض وتألى بجانيه وإذا مسه الشر كان

١٠ - ﴿ وَكَانُ الإِنسَانُ قُورًا ١٠ ﴾ [الإسراء] .

١١ - ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرُ شَيْءٍ جَدُلاً ﴿ ٢٠ ﴾ [الكهف] .

١٢ - ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلِ . . (٢٧ ﴾ [الانبياء] .

١٢ - ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكُفُورٌ ١٦ ﴾ [الحج] .

١٤ - ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ للإنسَانَ خَذُولاً (٢٦ ﴾ [الفرقان] .

١٥ - ﴿ وَحَمَلُهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا ﴿ ١٧ ﴾ [الاحذاب] .

١٦ - ﴿ أُو لَهُ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ

﴿ [بس] ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ا

١٨ - ﴿ فَإِذَا مِسْ الإِنسَانَ ضُرِّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوْلْنَاهُ نِعْمَةً مَنَا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ
 عَلَىٰ علْمِ بَلْ هِي فَنْنَةٌ . . (عَنَا) ﴿ [الزمر] .

١٩ ... ﴿ لا يُسْلَمُ الإنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّـبُهُ الشَّرُ فَيَـُوسٌ قَيْدُوسٌ قَيْدُ وسٌ قَيْدُ وسُسْمُ الشَّرُ فَيَعُوسٌ قَيْدُ وسُسْمًا الشَّرُ فَيَعُوسُ وسُلَّا الشَّرُ فَيَعُوسُ وسُلِّا السَّرُ فَيَعُوسُ وَاللهِ عَلَى اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

٢٠ - ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مُسَّهُ الشُّرُ فَذُو دُعَاء عَرِيضٍ () ﴾ [نصلت] .

٢١ - ﴿ إِن تُصِبْ هُمْ سَيِّ فَ قُبِهِمْ فَالْإِنْ الإِنسَانَ
 كفُور(١٤٤) ﴾ [الدري]

٢٢ - ﴿ وَجِعَلُوا لَهُ مِنْ عِبِادِهِ جُسِزُءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ

ورورا ﴿ وَ الْمُراكِ عَلَى نَصِهُ وَمِنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ

و٢ - ﴿ أَيْحَسِ الإسارُ أَنْ جِرْكُ سَمَّ ١٤ ﴿ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ مِن

いる一年間は四日日日の四年一十一

AA - क्षेत् भूति । र्रतायु म क्षि मेर्नेल ११९८म 🖘 🎉 र वाराय

٧١٠ - ﴿ إِنَّ الْمُدَاوِلُونَ عِنْ إِنَّا لِلْمُ الْمُدَاثِ الْمُدِينِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدِينِ الْمُدَاثِ الْمُدَالِقِيلُ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدَاثِ الْمُدِينِ الْمُدَاثِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدَاثِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدَاتِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدَاتِ الْمُدِينِ الْمُعِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُعِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُدِينِ الْمُعِينِ ا

ハノー 会社 当日 大田の人子 (1) 多 [14] .

٠٧ – ﴿ لَسَاءُ عَلَيْكِ الْمُعَالِّذِي الْمُعَالِّذِي الْمُعَالِّذِي الْمُعَالِّذِي الْمُعَالِّذِي السّالِي ال سافيل ﴿ إِلَّهِ الْمُعِلَّمُ الْمُعَالِّقِي الْمُعَالِّقِي الْمُعَالِّقِي الْمُعَالِّقِي اللَّهِ اللَّهِ اللّ

اللا ع المنشرا عَلَى مَا الله المنظر الله المناهم الله المناهم عندا الله

١٣٠ ـ ﴿ إِنَّ الإنسَانَ إِنَّ كُثُودٌ ۞ وَإِنَّا عَلَى فَالِهَ أَسْتِبَ ۗ ۞ وَإِنَّا أَنِينًا ﴾ [المديد]

ا بالمعلى (إلى عسل الله عسل () إلى ساول المعلوا وعملوا () من المعلوا وعملوا المعلود و المعلو

هذر هي المراضع التي .كر فيهما (الإنسان) في قرآن بصاحات خلاعاً الفير والشر و غرة والضعف و الإيمال كغرد والمكن والحمز ، والعلم والجبر و علم والدشر و القرفان و جمود و أخبراً فهو مستهدي دائم لا أنه ملا انه عن الإنسان

ناً رس ، مربق با من من مريث رسبال بكان مد نا زايقال زا ربع بالد

كلمة (البيس) وردت في القسران مفيرية ثلاثين مرة ، ثم ذكيرت مشناة مدية البيس) وردت مشناة منية مفيرية ثلاثين مرة ، ثم ذكيرية منية واحدة ، أما (الإنس) فقد ورد لفظه في القرآن اثنتين وستين مرة، بالإضافة إلى ورود لفظة (الإنس) سبي عسرية مرة ، وجاءت لفظة (أناس) سبع مسرات ، ولفظة (الناس) مائتين وأرجماً وثلاثين مرة ، ولفظة (أناسي) مرة واحدة ، فمجموع ورود لفظ الإنسان وأمثاله ثلمائة وإحدى وعشرين مرة .

ذاك المعلم أن (التاس) قد خوطبوا في القرآن بلقب (بنى أدم) ، وأن العمل أن المعلم أن (التاس) قد خوطبوا في القرآن بلقب (بنى أدم) ، وأن الله قد جاء سبيم مراء في القرآن ؛ إذا عامدا ذاك لم ين المينا أن المينا أن المينا أن المينا أن المينا إلى المينا أن وجود (البيشر) لما كان بنيا الماله المتصميرية المنالم أن المنالم أن المنالم المنالم

القدماء بين المعارفين على الجيال العام من قبل ، سواء في ذاك المناه عنية منه المناه و في ذاك المناه و المناه و المناه و القدماء والمعارفين ، بعد أن طفي طوفان الإسرائيليات ، وأهميعت المسرو القدمين المسيد المسابية و المناه المناه المناه و المناه المناه و المناه المناه و المن

فاستاكا بهبالهمان

هل أن الأولان لنجيب عن السؤال الذي طريعاء من قبل، وهو: هل كان البيس المناق البيسية شيئاً وعدا على الإرضى، أرادته القدرة الإلهياء، وتابعته في مراحله المتطاولة، وسارت به حتى انتهاي إلى أدم عليه السلام ؟.. أم كان وجود الخليقة في صورة مجمعة من الأشكال التناق أو المتقاطرة على الساحة الأضيية عبى الوجود الذينيا بائل، وكان أدم أحد هذه الأشياء.

إننا نبادر إلى نفي الشق الثاني من السؤال نفي قاطع لاسباب تفرض نفسها : أن البشرية تبغي في الفهوم الديني القرآني جنسا واحداً ، لا عدة أجناس مقتبس ببضم من بعض على ما قررته النظرية الداروينية .. التي أسقطها العلماء في الشرق والغرب على السواء .

وقد تميزت هذه الخليقة بصفات ثابتة في كل المراحل .. مشتركة بين أفرادها وأجيالها .. مختلفة عما عرفت به أجناس الخلائق الأخرى من

خصائص وميزات وصفات ، وهو ما يعنيه قول الله خلق خلق خلق الله خلق كان وميام ورايسه على خطون على خطون على خطون على خطون على وخلهم من يعني على وجلبو وخلهم من يعني على وجلبو وخلهم من وميا أو يو ياك حيث على وجلبو و المام يوكد صدق منه الآية بتقريره منه الأب شب المناهل وجدوا كانوا يسيرون منتصبي القاعة ، بعكس الاجناس الاجناس الاجتالات في هذه الخاصية يعنى تعدد أجناس الخلق ، وهو الحقيقة القردة حتى الأن فيما نشاهد من أصناف الخلق ، ها في منه لم جل .

ثم أي أن الله سبسان منا إن المناهد ال

 ⁽١) يجب أن تلاحظ النرق بين الظو وفو الإيبراء من عدم و والمحل وفو شكية الصاسة من أماء وظيفتها

وقد سبقت الإشارة إلى مغزى هذه الرحلة ، واللغة من أخطر مقومات هذا الخاني ، ويبدو أنها بلغت درجة من الكدال في المرحلة الأدمية الصأسمة , حتى تفوق أدم على الملائكة في أول اختبار .

الله كانت ملصة ماكلة !! تلك التي استغريم غلي البشر وتسويته وين ملك البشر وتسويته التي المشاع التي المساع التي أحسان أله المساع التي فيه كمالات الاروبيه بالكات العليم المساع المساع البيرة، في التخليف الشام المنطق المنواة ، على المنواة ، والمناف المناف المنافع المن

الله استفرقت هذه الملصة - كساسبق أن قلنا ملايين السنين، واكنها مرت خلاماً في خلام، أو : غيب في غيب، مستى أذن الله المبح أن ينبلج - فأشرق الإنسان من سلالة البشر، واكتمل الخلق، وجاء آدم !!

ايس غريباً أن نتصور - بناء على هذا - أن آدم جاء مواوداً لابوين(') ، وأن حواء جاءت كذلك ، على الرغم معا سروف يلقى هذا النصور من معارضة تلقائية ، ورفض عنيف !! وبلا تفكير !!

ا نياه التصور لا يتصابح في رأينا مع حقيقة غلق الإنسار من طين ، في المعوال المعور لا يتصابح في رأينا مع حقيقة غلق الإنسار من المنافع ا

وملكاته ، وخصائصه ، وقد تم ذلك كله في غييوبة الزمان ، حيث استوى الصفر والمايون ، فعا هي إلا سنة استمرت بضعة ملايين من السنين حتى استوى الإنسان .. (آدم) الذي نبت في التراب ، وانبثق من الارض ، لقد تبدت الاحداث والرقائع ، ولم يبق منها سوى الحقيقة الترابية .

مثل أعمور ليس غريباً ، ولا بعيماً عن الواقع الذي قرره القرآن ... مثلاً عن أحمور ليس غريباً ، ولا بعيماً عن الواقع الذي قرره القرآن ... مثلاً عن الأخرة عين قال تعالى : ﴿ كَأَنُّهم يوم يرونها لم يأبيرا إلاّ عينية أو عيناً الله على الله على الله الماري .. أي : إن الزمان يكون قد انطوى ، وسقطت في منحاها (على الإحداث مبما تعاظمت ، واستغرقت مثلت المنين ، وهو كذلك ما جَبُّ كل الاحداث مباد ما تعاظم أو الأرض عدد سين (س) كرده القرآن في قبوله تعالى : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سين (س) قالوا لينا بو ما أو معنى يوم فاسأل العادين (س) قالوا لا لبتنم إلا فيلا أو أنكم تعتم تعامرت (قدر) أو الله المؤلى المعلون (قدر) أو الله المؤلى العامرين (على أو الله المؤلى العامرين) ...

وبهذا تكون المقيقة الترابة أثبت الصقائق وأبرزها في وجود كل مظرق يبخل في مضمون الضمائر (أثا - ونحن - وأنت - وأنت - وأنتما - وأنتم - وأنان - وهو - وهي - وهما - وهم - وهن) ، وخبرها جميعا (من تراب) : ﴿ كَنْ مَالْمُعَالِ مَنْ حَمَا مُسْئُونَ ﴾ . الباب الثاني

وقائعالقصة

الفصلالأول

◄ البشر واللغـــة

كانت اللغة هى معجزة الخلق التى أثمرها تزويد المخلوق البشرى بالملكات العليا ، وفى قمستها : العقل ... وإذا كان البشر قد عاشوا ملايين السنين حتى تتم عملية التسوية ، والنفخ الإلهى ـ فإن من أخطر مظاهر الكمال الخلقي أن يدرك الأفراد معنى العلاقات المتبادلة فيما بينهم ، وهى علاقات لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال اللغة ، ونحن نستخدم (اللغة) هنا بالمفهوم العام الذي يشمل الجاذبية الجنسية ، وهي أقدم لغة وصلت ما بين طرفى النوع البشرى من أول لحظة ، كما يشمل الندافع والاحتكاك المادى ، والإشارة والمسوت المبهم .. إلخ ، وعلى طريق النضج البشرى بدأت الجوارح تصل ما بين الفرد والفرد ، وما بين الذكر والأنثى ، ونحسب أن صورت الجنس كان أقدم الأصدوات التي صدرت عن البشر أو صرخوا بها .

كما بدأت وظائف الجدوارح تتحدد في سلوكيات صادية ، قابلة للترقى والتطور والتنويع ، وما أشبه البشر آنذاك ـ والزمان طفل لم يتجاوز بضعة مالايين من السنين ـ باطفالنا الآن في أيامهم الأولى ، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة و والله أحرجكُم من بطون أمهاتكُم لا تعلمون شيئا وجعل لَكُمُ السَمْع والأبصار والأفندة لعلكُم تشكرُون (١٠٠٠) و [النحل]

177

ومن المسلم به علمياً أن وجود البشر كان مسبوقاً بوجود الكائنات الأخرى من العير والحيوان في البر والبحر ، وكانت هذه تشكل عالماً من الكائنات باشكتها وأنواعها ، كما كان لها تأثير مباشر على الوجود الكائنات باشكتها كان قوت البشر ووسائل عملهم .. بل تولى بعض الطيور مهمة تعليم هذ المخلوق ما هو بحاجة إليه من سلوكيات ، ودور الغراب في قصة ابنى دم دو دلالة ظاهرة في هذا المجال : ﴿ فَبعث اللّهُ غُرابًا يَعثُ في الأَرض نُسِرية كَيْف يُوارى سوءة أخيه .. (علي ﴾ [المادة] ، أى : إن يبعث في الأرض نُسرية كيف يُوارى سوءة أخيه .. (علي المنسه ، حتى شاهد الإنسان في مطلع فجره لم يكن يدفن جثث الموتى من جنسه ، حتى شاهد وهو في قمة مأساته _ الغراب يلقنه درس الدفن ، بعدما بلغ سن الرشد ودخل في المرحلة الآدمية الجديدة ، ولا يبعد أن نتصور أن البشر كانوا في بناية وجودهم ، وقبيل رشدهم يتاكلون ويتغارسون .. أى : ياكل بعضهم بعضاً

وبر أننا تصورنا حياة الصدام ، والصراع بين البيشر وسائر أجناس الخنز ـ فيان ذلك يعنى أن العيلاقات بين الموجبودات والبيشر كانت هي القوت اليومي ، بوجهيها : السلبي والإيجابي .

وقد كانت هذه العلاقات تتنامى دائماً ، كما وكيفاً ،، وهى تحدث بصماتها ، وتحفر في العقل البشرى آشارها ، وكان البشر قد ميزوا بالفزد ، أى : بالعقل ، وهو ما يعنى أنهم كانوا قادرين على الاحتفاظ بالتجربة في ذاكرتهم . ثم صاروا يفيدون من رصيد التجارب المتراكمة ، في حركة ، وفي حصوت

لف كنانت للطيس أو خصيوان طريقته النتي لا تتغيس في التعامل مع جنسه رغيس جنسه . وكنه يأتي من ذلك ما يوصف بالتلقائية الابدية ،

والثبات الغرزى المتواصل عبر ملايين السنين ، وإن حدث تغير أحياناً في الشكل ، أما رصيد التجارب البشرية فقد كان في نمو دائم ، وتغير مستمر ، رغبة في تحسين الأداء ، وتمكين الجنس البشري من السيطرة على سائر الأجناس ، ومن هنا كان التوجه إلى استغدام الأدوات الحجرية لمضاعفة القدرة ، وتأمين السيطرة .. هذا في جانب الحركة .

فأما في جانب الصوت فيقد كان أغزر مادة ، وأكثر حدوثا إذ كانت الضوضاء ـ وما زالت ـ هي غذاء الحياة وقوتها ، ودليلها ، سواء صدرت الضوضاء عن البشر ، أم صدرت عن المادة المتعلقة بالحركة ، وليس بوسع مخلوق أن ياتي بحركة إلا مقترنة بصوت ، ينبعث من أثر احتكاك المادة بعضها ببعض ، أو يصدر عن الإنسان ، وهو يتعامل معها ، ثم يتصول الصوت إلى مقطع ، ثم إلى كلمة ، ثم إلى درجات من الشركيب لمتنوع ، ثم تطور هذه الحالة التي اقترن فيها الصوت بالحركة ، ليصدر الصوت مستقلاً عن الحركة ، وقد يكون في هذا الحال مجرد صوت ، وقد يرتبط بهدف حيوى ، أو تعبير عاطفي ، وهكذا نشأت اللغة البشرية ، مع التجاوز البالغ عن تفاصيل كشيرة .. كشيرة جداً تتعلق بأوعية الزمان والمكان ، واحتمالات الفعل والترك ، والإيجاب والسلب ، والعطاء والمنع ، والذكاء والغباء ، والتناقض والاستواء .. الخ .

ولا شك أن البشر كانوا محوطين بأصوات أخرى تصدر عن الطيور والحيوانات ، ولهم من دون الخلائق جميعاً قدرة على تقليد الأصوات ، ونادر من الطيور ما عرف بتقليد الأصوات (الببغاء) ، أما الإنسان فقد لذ له دائماً التخاطب مع تلك الكائنات ، أو التجاوب معها من باب التسلية أو التحرويض ، وقد لاحظ أولئك البشر أن لكل كائن نوعاً من الضوضاء

يستخدمه في قيادة القطيع ، أو نداء الأنثى ، أو تحذير الصغار ، أو مواجهة الأخطار ، فلم لا يكونون كذلك ، وهم يملكون قدرة هائلة على التنويع . وهم ـ كذلك ـ يعقلون المعنى الوظيفي للصوت حين ينطاق بوجه من الوجوه ، ولم لا يكون تعاملهم مع هذه الكائنات من قناة اللغة ، بحيث يضعون لها أسماء تميزها عند التعامل معها .

هكذا تخلقت اللغة خلال ملايين السنين ، حتى صارت مكونة من أصوات متشخصة ، وكلمات متخصصة ، وحتى أصبحت تضم الألوف من الكلمات .. بل حتى تنوعت فبلغت عدة اللغات أكثر من ألفى لغة بنطقها الإنسان الآن ، وكلها مبنية على عدد محدد صن الأصوات هو غاية ما يصدره جهاز النطق ، لا يزيد ولا يتنوع .

لقد أولع كثيرون بالبحث عن أصل اللغة ، فمن قائل : إنها من وحى الله . نزّله على بعض عباده من الأنبياء ، كآدم ، وإسماعيل !! وللجاحظ هنا مقولة : إن الله فتق لهاة إسماعيل بالعربية على غير مثال سبق (مختارات فصول الجاحظ مخطوط بدار الكتب) .

وقائل النها مواضعة حددت لكل شيء اسمه المتفق عليه وهو قول ابن جنى في (الخصائص ١٤٤/١).

وقائل النبا مداكاة الصوات الطبيعة!!

وقائل . إنها نشيجة انفعالات تعرض لها الإنسان !!

وتصور أستانا الدكتور إبراهيم أنيس ... رحمة الله عليه .. (أن الكلمات الإنسانية الناشئة كانت كثيرة المبنى ، قليلة المعنى ، فالمجتمع جماعة من الشباب يمرحون ، ويلعبون ، ويستمتعون بالنطق ، دون هدف معين

سوى المتعة واللعب بالسنتهم ، كما كانوا يلعبون بايديهم وأرجلهم ، أى : إن اللغة نشأت فى صورة لعب معتع ، لا يهدف إلى إيصال معنى إلى السامع .. بل كانت أشب بعناغاة الطفل وأصواته المبهمة .. فلم يكن الإنسان الأول معنيا بالافكار ، ولكن عنايته كانت مقصورة على الغرائز والعواطف ، ولعل الحب والغريزة الجنسية أقوى هذه العواطف ، فهو ينطق أو يصوت ليستلفت انتباه الأليف ، ويثبت وجوده واستقلاله ، كالطير حين ينتقل من فنن إلى فنن ، وهو يغنى غناءً متواصلاً ، لعله بهذا ينال الحظوة لدى أليفه من الطيور ،

كذلك كان الإنسان الأول يغنى في أشناء صيده ، وفي حربه ، وفي كل ما يقوم به .. غناء لا كغنائنا - يهدف إلى الطرب - وإنما هو تصويت منسجم تتردد فيه الأصوات والمقاطع .

ثم تطور هذا النطق من مجرد اللعب والمتعة ، وأصبح ذا هدف فياما بعد، واستعل في التعبير عن كل ما يدور بخلد الإنسان من خير أو شر(١).

والواقع أن كل افتراض لتفسير نشأة اللغة له نصيب ، ولو ضئيل ، من الصواب ، فكل الآراء تجتمع لتنسج ثوب اللغة في صورة مكتملة ، غير أنها جميعاً وقعت في خطأ مشترك هو خلطها بين البشر والإنسان من ناحية ، وتصورها أن اهتداء الإنسان للغة كان خلال الفترة الزمنية القريبة التي عاشها الإنسان مئذ آدم عليه السلام باعتباره أول المخلوقات. من ناحية أخرى .

⁽١) دلالة الالفاظ صفحة ٢٣ رما بعدها

بل إننا حين نقرأ قسة ابني أدم (هابيل وقابيل) بيبرنا فيها غزارة التجريد في المعني ، وثراء اللفظ ، عتى إن الإنسانية ما زالت درن بلوغ الافق الاخلاقي والقيمي الذي عبرت عنه ثلث المصة ، معا بدل على _رجة من الصضارة الدينية ، بلغمها الإنسان في ذلك الزمان . بعد أن كافح مذليين السنين في مرحلته البشرية .

والنقرا نص القصة . يقول الله تعالى ﴿ واللَّ عليه بنا الى أدم بالمعق إذ فرا فربانا فقيل من أخمهما ولم يشيل من الآخر قال لاقتدر قال إن الشيار من الأخر قال لاقتدر قال النا بيت إلى المسال من المسال من المسال من الما الما يم المنا بيا الله المنا الله الله بيا الله إلى أرب أن أبي أرب أن تبرء بإشم وإشاء في نا بالما بي أضاف أن الما الله إلى الماليين الشارة الله بيا المنا المنا المنا بيا المنا المنا بيا المنا المنا المنا أن ألم أي المنا المنا المنا أن ألم أي المنا المنا المنا المنا المنا المنا المنا المنا المنا أن المنا أن ألم أن المنا المنا أن ألم أن المنا المنا أن ألم أن المنا ال

لقد ذكرن القصة : القربان ، وهو معنى ديني خاص ، وذكرت قبول العدال تركن التعال تركن القرار ، وهو العدال التعار أو كذاب من التعار أو كذاب ، والمتعار أو كذاب ، ودلالة قال التعار أو كذاب أو كن التعار التهاء ، وياللما إلى ، وما يتعال التعار التع

وكل هذه العماني الدينية ذات دلالة على الرقى النسبي الذي بلغه بك هذه المدان وكل هذه الماني الدينية ذات دلالة على الرقى النسبي المادي فأصبحت الموان ، أع الماني المادي فأحبير المادي العبيبية .. أي البنا عبيدة عن الماني العبيبة البناء إلى المبان الماني المانية ا

ومن المعانى الغيبية الجردة ذات الدلالة العميقة على مذهبنا هذا ... ما ومن المعانى الغيبية الجردة ذات الدلالة العميقة على مذهبنا هذا ... ما جرى على السان إبليس وهو يغرى آدم وزوجه بالاكل من الشجرة المردى ... قال : هم ما نهاكما بأرضا عن الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو المردي أو أن المحاليين (()) أجه إلاعداد] !! فصيص عرف أدم وزوجه صعنى تكونا من الخالية وينا به ياقع لم يصدث من الطورة وكيف المما أن يتضيلاه ، وهو معنى مرتبط بواقع لم يصدث من قبل ، على فرض أنهما أول الخلوقات البشرية ؟؟ ونعنى به واقع (الموت) وهو ضد الخلود ،

، دائقا المعلتبان ، عربا المسمع تقبلت الإيما لتياد لمهنا بدائي طائان! انه بد بالميسقا الموداجة ، لمدرواي أسلم بالا دلقباا را راهار

الباب وقد عرف علمهما ، أو نقطة ضعفسهما ، فقاسمهما : ﴿ إِنَّى لَكُمَا لَمَنَ النَّاصِحِينَ ﴿ وَقَدْ عَرْفُ لِكُمَا لَمُنْ النَّاصِحِينَ ﴿ فَذَلَا هُمَا بِغُرُورِ . . (؟؟ ﴾ [الاعراف]

إننا لا نشك في أن آدم قد صنع على عين الله ، وأنه ظفر برعاية ربانية استثنائية جعلت في ذاته معجزة إلهية ، وكان آدم بذلك صدداً للمرحلة القادمة التي بنأت به مع زوجه حواء ، ومن خلال آدم بدأت الإنسانية مسيرتها بخضوات فاصدة راشدة ، على حين بادت الموجودات البشرية الطليقة الشاردة تتبدأ المرحلة الجديدة .. مرحلة التكليف الديني .. بعبادة الإله الخالق الواحد ، بعد أن تم للإنسان التعرف على الكون من حوله ، من خلال الأسماء التي تحدد وجدود كل شيء والتي أعانه الله سبحانه على استيديها .

ونعود إلى حديث اللغة فنقول:

لقد اقترنت نشاة اللغة بمجموعة هائلة من الصدف العشوائية ، يجل حصرها ، وكان استوق البشرى أشبه بطغل جلس إلى جهاز كمتور (۱) ضخم ذى مفاتين تشيرة كشيرة ، فاخذ الطغل فى البداية يلعس هذه المفاتين ، ويرقب أثر المساته ، وكلما وجد أثراً على شاشة الجهاز كرر اللمس ليستمتي به أو بغيره ، حتى تكونت بينه وبين الجهاز ألفة أغرته بالمزيد ، فعضى يستمام حبراته المثبئة نتيجة التكرار ، ويبنى تجارب أخرى مركبة من شعربه البسيطة ، إلى أن سيطر على الجهاز مع تقدمه أغرى مركبة من شعربه البسيطة ، إلى أن سيطر على الجهاز مع تقدمه في العمر ، وصار من حيراً فكذلك الإنسان الذي ورث التراث البشري وتالقت في شخصه شر نو عب البشرية ، وزاده الله مددا وتعليما ، فكان أنم عليه السلام معربة الإرسى لبده عهد جديد ، هو عهد الإنسال المنه وبنيه .

والاسم رمز المسمى ؛ فهل يمكن أن يطلق على آدم هذا الاسم دون أن تكون البشرية قد قطعت شوطاً هاثلاً في الرقى اللغوي قبل مرحلة الإنسانية الآدمية ؟ وإذا قرأنا قوله تعالى : ﴿ وَعَلْمَ آدَمَ الأَسْمَاءُ كُلُها . . (٢٠٠٠) ﴾ [البقرة] - فهل لا يوحي منطوق الآية على هذا النصو بأن الساحة كانت حافلة بأسماء كثيرة لموجدوات مادية ، أو أسماء لمعان مجردة، وأن حصيلة ذلك كانت في عقل آدم؟ أو استطاع آدم أن يحصلها!!

قد يقول قائل: إن اسم (آدم) هو اختيار الله ، أطلقه على أول خليفة في الأرض!!

ولكن التناسب الذي نجده بين الاسم والمسمى .. أي : بين معنى كلمة (آدم) والمادة التي ينتمى إليها وهي (أديم الأرض) .. هذا التناسب لا يمكن أن يتصور حدوثه على سبيل الصدفة أو الفجاءة ، فالفجاءة خروج على سنة الله في الخلق والتسوية والإبداع ، وهو آيات العظمة الإلهية ودلائلها . فلم يبق إلا أن نفترض مستوى من النضج اللغوى بلغته البشرية في أواخر مرحلتها ، وفي بواكير العهد الإنساني ، وهو ما يعنى أن العربية قديمة .. قدم التاريخ الإنساني على هذه الأرض .. على ألاقل .

لقد زعم العبرانيون أن لغتهم هي أقدم اللغات وأصلها وهو ما لم يسلم به أحد من علماء اللغات لانعدام الدليل على صحة مقولتهم ، أما نحن فنرى له انطلاقاً من ملاحظاتنا السابقة أن العربية هي الأصل والأقدم ، ولذا كنان اختيار أنه لها في كل ما دار من حوار جرت به أحداث هذه القصة .

١١ الكمتور - نبعث عرس - سمرس - من كلمة كمبيوش

الفصلالثاني

الإنسان والملائكة

الملائكة عالم من عوالم الكون التي براها الله ، خلقهم من مادة النور ، بهذا جاء الحديث الشريف برواية أحمد ومسلم رضي الله عنهما: (خلقت الملائكة من شور ، وخلق الجنان من نار ، وخلق الإنسنان مما وصف لكم) ، وليس بالأزم أن نبحث في ماهية هذا النور ، وهل هو النور الذي نالفه من مصدر كالقمر ، أو الضوء الذي عهدناه من مصدر الشمس ، أو هو نور آخر مختلف العناصر والأطياف لا ندرى كنهه ؟ ويكفى أن نذكر قياساً يُقفِّنا عند حدود أقدارنا ، فقد خلقنا الله من تراب ، وشتان ما سن هذا التسراب واللحم الآدمي في الشكل ، وإن اتحدت عناصرهما عند التحليل، فالمسافة هائلة لا يمكن للعقل أن يقطعها ، وكذلك الملائكة .. هم من النور ، ومم ذلك نتصور أن هيئتهم التي خلقوا عليها بعيدة جداً عن مادة النور التي نألفها ، وكل ما نملكه هو أن نؤمن بهم كما أخبر الله عنهم، وكما طلب منا الإيمان بهم ، فهم ملائكة الله وجنده ، وهم جنزه من عالم الغيب الذي حجبت عنا حقيقته ، واستحالت علينا رؤيته ، ولعلنا نتذكر هنا أن البشر قند كانوا في أقدار الخلق هم العالم الظاهر ، في منقابل العالمين المخلوقين الخفيين: عالم الملائكة وعالم الجن، وما شاء الله من خلق لا تعلمه .

ونحن من حسلال الدين تدرك الدور الذي تؤديه الملائكة في عسالمنا

الإنساني، فمنهم ملهدن بالخير، ومنهم حفظة .. سفرة .. كرام كاتبون. ومنهم حملة العرش، وحنبم ملائكة السسماء والسسماب والمطر والارزاق والاندار. ومنهم الموكلون بحيياة العباد وموتهم .. إلى ما لا يحصي من مهمات خصهم الله بالقيام عليها في إدارة الكون، في السموات والأرض : همات خصهم إلى بالقيام عليها في إدارة الكون، في السموات والأرض : هواله من في السموات والأرض :

علاقة الإنسان باللائكة

بدأت علاقة الإنسان بـ: الانكة على مشارف الرحاة البشرية ، وذاك مناز علاقة الإنسان بناز على مأوف المراقة البشرية ، وأعمر المراقة اللانكة أنه خاخ (أشر من طبي) . وإعدادا من أعمر العراق المراق وفي مواجهة ما سوف جدة من متغيرات على ساحة الارغير ، وقد المناز هي مواجهة من المناز المناز ، وقد أن جعلها همدا أن كان المناز الماهية المنافية إلى ما كان البيار إليه المناز المنافية إلى ما كان من المناز ال

كلانوا برون أنبيم جديرون بهذه الضلافة دون البشر، وهو افتراض لا كلائكة لايو يرون أنبيم جديرون بهذه الضلافة دون البشر، وهو افتراض لا كانوا يرون أنبيم جديرون بهذه الضلافة دون البشر، وهو افتراض لا يقل العقل ، فقد كانوا يتمتعون بميزات الشهور والقرب من الله سبصانه، ومي مرتبة عليا في سلم النطوقيات – لم يبلغها غيرهم من الكائثات وهي مرتبة عليا في سلم النطوقيات – لم يبلغها غيرهم من الكائثات الأخرى !! إن الكون كله صفصة مبسوطة بين أيديهم وأخوارهم ، يرتادون الأخرى !! إن الكون المدم من أندا بهم بعلمه ، وأين ونجوبون أنصاء ، ويعلمون من أمره ما أنن الله لهم بعلمه ، وأين منا البيهاء والسناه من أحوال ثلبًا المطوق الصيواني ، اللازق بالأرض، النابت من التراب العدربد في مثالك الطير والصيوان ، السائلة لدماء جنسه وغير جنسه وغير جنسه

. * 12 الأل الله الله الله عن الله الله الكال الله الإعلى ؟...

أن ١٥٠ من من الخلافكة لا يتضمض وغبتهم في تلك الخلافة ، أو حسد البشر طروا بل هو تعبير عن استغرابهم لما يتوقعونه من استغرار الفساد وتزاد الدا ومن في الأرض على تسبيحهم وتحديدهم وتقديسهم لجلال الله وعناده في الخرق الملائكية : في وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ لِهِ مَهُ الحال ، أي : إننا غارقون في أنوار التقديس، في حديث أن هزلاء والهرا الدماء ، لا يعرفون ديناً ، ولا يعبدون إلها .

وقال الله ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ وسكتت الملائكة ..

فه ۱۱ مسة كانت أولى الجرائد في العبد الإنساني ، وتعييرت بالاهته إلى الموتي من بني آدم لأول مرة ، بعد أن كانت الجثث تترك في المراء أسائر الحيوانات النافقة . تأكلها الضواري ، أو تتأكل ،

وقور ، ، ، إلى الله بيرة ، فيما رواه البخارى والنسائى عن مسروق عن عبد الله ، ، ، ، نل نفس ظلماً إلا كان عبى أبن آدم الأول كفلٌ من دمها ، وذلك آد ، ، ، ، سن القبتل) - يشيس أيضاً إلى موقع ذلك الجرم من المسنو . ، ، ، ، ، من القبتل) - يشيس أيضاً إلى موقع ذلك الجرم من النفس . ، . ، ، ، ، ، ، ، ، الرباية إلا بعد إرسار مرسل . وقبل آدم لم يكن رسول ولا دير من مولية ، وبعد آدم بنا عبد الإنساني فكانت المسئولية الدينية من الربارة الأول وزر قبل خيه ، وعليه كفل من دم كل نفس

تقتل ظلماً ، لأنه أول من سن القتل ، أي : هو أول من خرج على الدين ، واتخذ ئنفسه سنة أخرى ، هي سنة الظلم والقتل ، لا سنة الدين والعدل ، وفي الحديث : (من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) .

لقد قال الله سبحانه لملائكته: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ومضمون هذا الخبر أمر لهم بالسكوت ، فسكتوا ، ودارت الاقدار على نهج المشيئة ، وبدأ الدرس الأول ، أو الرسالة الأولى في تاريخ الإنسانية : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا ﴾ .. وحتى هذه اللحظة لم تكن الملائكة تعلم : مَنْ ذلك الذي جعله الله من بين البشر خليفة في الأرض ؟!! ولم يكن آدم قد ظهر على المسرح ، فاصطفاؤه كان في علم الله وحده .. وهم معذورون لانهم لا يرون في تلك الخليقة إلا الجانب السلبي ، أما الجانب الإيجابي فمحجوب عنهم ، ولم يكشف الله لهم شيئا من أسراره .

رجاء وحى الله بالرسالة والاصطفاء إلى آدم ، ﴿ وَعَلَّمَ آدَمُ الْاسْمَاءُ كُلُّهَا ﴾ وهذه أول مرة يذكر فيها لفظ (آدم) ، وتعليم الله له هو فسحوى رسالته التي لم تذكر إلا في هذه الآية ، وهي آية لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الله اصطفى آدمُ ونُوحًا وآلَ إِبْرَاهِيمُ وآلَ عَمْرانُ عَلَى الْعَالَمِينُ (آ) ﴾ [آل عمرانُ عَلَى الْعَالَمِينُ (آ) ﴾ [آل عمرانُ عَلَى

إن آدم رسول مصطفى من الله ، تماماً كنوح وإبراهيم ، ولقد كانت لنوح ملحمة كبيرة تحدث عنها القرآن في أكثر من موضع ، وكانت لأدم عنها نوح ملحمته الكبرى التي بدأت بهذه اللمحة الإلهية ، فقد علمه ما لا تعلم الملائكة .. علمه الدين . والرسالة التي سوف يبلغها لبنيه ، وهو ما

الفصلالثالث

السجود للنبس الإنسان

ورد موضوع السجود لأدم في سبع صور من القرآن ، هي بترتيب النزول

١ - السورة السابعة والثلاثون (ص) ﴿ فَسَجَدُ الْمَلائكَةُ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعَالِقُ كَلُّهُمُ أَجْمَعُونَ اللَّهُ إِلَّا إِلْلِيسُ اسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ (١٠) ﴾ [ص]

٢ - السورة الشامنة والشلاثون (الاعبراف) ﴿ وَلَقَدْ خَلَفْنَاكُمْ ثُمَّ صُورُنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا للْمَلائكة اسْجُدُوا لآدم فسيجدُوا إلاَّ إِبْلِيس لم يكُن مِن السَاجِدِين (11) ﴾ [الاعراف]

٣ - السورة الرابعة والاربعون (طه) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا
 لآدم فسجدُوا إلا إبليس أبي (١١٦) ﴾ [طه]

٤ - السورة التاسيعية والاربعون (الإسبراء) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمُلائِكَةُ السُجُدُوا لاَدم فسحدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا (١٠) ﴾ [الإسراء].

٥ - السورة الثالثة والخمسون (الحجر) : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائكةُ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ ۞ إِلاَ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَاجِدِينَ ۞ ﴾ [الحجر]

٦ - السورة الثامنة والسنتون (الكهف) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةُ اسْجُدُوا
 لآدم فسجدُوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . . < (الكهف]

بدا متالقاً في الحواد الذي دار بين ابنيه متضمناً كل المفاهيم التوحيدية ، وامهات الاخلاق الدينية ، وتكم هي الاستماء التي تعلمها أدم عن ربه ، ولأنفوهها حكرتان القوان على أن يؤكد أنه تعلم ﴿الأسماء كُلُهَا﴾ ، فلعل أدم كان يعرف بعض الاسماء فتولى الله سبحانه تعليمه كل الاسماء ، فيما يتصل بالمهمة التي سينهض بها ، خليفة في الأرض ، ومن بين الاسماء التي تعلمها أسماء الملائكة المشاركين في هذا الحواد ، وقد تضمن القرآن بعض هذه الاسماء فتعلمها المؤمنون من الوحى ،

كان اصطفاء آدم للرسالة إنسانية الأولى غيباً محجوباً عن الملائكة . لا يعلمه إلا رب العزة ، وكانت الأسماء التي تعلمها متعلقة بالأمانة التي ناطها الله بآدم وذريته ، وهو ما لم تعلمه الملائكة من قبل .. إبها بداية عهد جديد ، وإشراقة جيل الإنسال على أنقاض الركام البشرى ، وحين عرض مسجمانه هذه المضامين على اللائكة من فقال أنبتوني بأسماء هؤلاء إن مسجمانه هذه المضامين على اللائكة من فقال أنبتوني بأسماء هؤلاء إن كنتُم صادقين (آ) قالوا سبحانك لا علم لذ إلا ما علمتنا إن أن العليم المحكيم آآ) ﴾ [ابقرة]

ولا مانع من أن يشار إلى المعروضات المائة في الموقف بإشارة العقلاء (هؤلاء) . لأن الاسماء تتعلق باشخاص وأشياء تفرد دم بعلمها وأقرت الملائكة بأنها لا تعلم الا ما سمحت به من قبل مشيئة الله ، ﴿ قَالَ يَا أَدُهُ أَسْبُهُمُ بِأَسْمَانُهُمُ فَلَمَا أَسَاهُمُ بِأَسْمَانُهُمُ فَالْ أَلُمُ أَقُلُ لَكُمُ إِلَى أَعْلَمُ عَبِيبُ السَّمْوَاتُ وَالأَرْضُ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونُ وم كُنتُمُ تَكُتُمُونُ (البَيْرة) البَيْرة]

ررضح في الموقف تفور أدم واختصاصه بالرسالة والاصطفاء وهذا حانت لحظة السجود الأدم تنقيداً للامر الصادر منذ نضعة ملايين مرانسنين

فسجود الملائكة كان في تشيرت سجوداً لأدم النبي المصطلى ا

٧ - السورة السابعة والثمانون (البقرة) : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبُرُ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ٤٣ ﴾ [البقرة]

ويلاحظ على ما سبق من النصوص القرآنية ما يأتي

١ - أن النصوص السنة الأولى مكية ، والنص السابع مدنى ،

٢ - أن النص فى سـورة (ص) يجعل السـجود عقب تمام النفخ من روح الله ، وكأنه جزاء وجـواب للشرط ﴿ فَإِذًا سَوَّيْتُهُ ﴾ ، وكذلك أيضاً السـياق فى نص سـورة (الاعراف) فيرحى بوجود مسافة زمنية بين مرحلة التصـوير (أو التسوية) وبين الأمر بالسـجود ، كما سبقت ملاحظته ، ولكن استجابة الملائكة للأمر كانت فى سياقها فورية مقرونة بالفاء .

وتتشابه النصوص في بقية الصور المكية في (طه والإسراء والحجر والكهف) ... إذ يأتي السجود جواباً للأمر : (أسجدوا) (فسجدوا) .

أما النص الدنى فى سورة البقرة فيجعل الأمر بالسجود عقب فصل هام من القصة ، هو الحوار بين رب العزة والملائكة فى شأن (الخلافة فى الأرض) ، وهى إضافة بارزة لم ترد فى أى نص قرآنى سابق أو لاحق .

لقد كان عمر التفسير يرون دائماً أن السجود الملائكي قد حدث عقب نفخة الله سبحنه ، التي أنهضت آدم (بشراً مُسوَّى) ، وهو رأى سائد في كل التخسير ، إذ إن الملائكة رأت في تصرك هذا المخلوق الطيني المحالية تسترجب السجود - تكريماً لأدم ، وطاعة قد عز وجل ، بحسب الرؤية القديمة . وهو ما يقوله الاستاذ البهى الخولي (ص ٥٩) : سجدوا

_ الملائكة _ له بامر بمن الله عز وجل عندما نفخ فيه سبحاته من روحه) .

أما نعن فنرى قلبنة لتبصبورنا أن نص سورة البنقرة ، وهو النص الأخير الذي يحكم جميع النصوص السابقة ، ويهيمن عليها ـ هذا النص ، قد طرح ترتيباً آخر للأحداث ، فجاء بالأمر بالسجود بعد مشهد الحوار بين الله وملائكته عن اتخاذ خليفة في الأرض ، ولم يكن آدم معلوماً آنذاك للملائكة ، رغم أنه كان موجوداً على السباحة بين أغمار البيشر ، ولذلك عممت الملائكة الحكم على البشر ، وأنهم يفسدون ويسفكون الدماء ، ولو كانت الملائكة تعرف أن المقصود آدم ، فربما استثنته من هذا التعميم ، ولذلك قال الله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وهنا دخل آدم إلى مسرح الحوار ﴿ وَعَلَمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلُهَا ثُمْ عَرَضَهُمْ عَلَى الملائكة .. ۞ ﴾ [البقرة] ، كان الشعليم هو الوحى الذي علم آدم ما لم يكن يعلمه ، وهو اصطفاؤه نبياً ، وتزويده بالضسرورة من التعاليم الدينية ، ليبدأ المركب الجديد ، موكب الإنسان المكرم في شخص آدم في رُولُقَدُ كُرُمُنَا بني آدم . . ۞ ﴾ [الإسراء] ، وموقف آدم عليه السلام في هذا هو موقف محمد ﷺ ، وقد قال الله ﴿ وعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ . . (١٠٠٠) ﴾ النساء]

وفى هذا الموقف عكمت الملائكة لأول مسرة أن المقصود بالخليفة هو (آدم) ، وليس غير .. إنها النبوة ، طليعة الموكب الإنسانى ، وقاعدة انطلاق الخلق الذي بدأت خطواته التنفيذية منذ ملايين السنين ، فوجد كماله في شخص آدم ، النبي المصطفى .. يالها من قدرة هائلة ؛ تابعت عملية الخلق خالال هذا الزمن المتطاول !! وياله من إنجاز رائع تجلى أعظم تجل في

شخص آدم الرسول ، الذي تفوق على ملائكة الرحمن !!

فى هذا المشهد الكونى العظيم أمر الله مسلائكته بالسجود لآدم ، تكريما وتكليفا : ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتُكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ _ إنه موقف يثير من الأعماق كوامن الطاعة والإعجاب . كما يُحرك دوافع الصقد ودفائنه ، وفي هذا المشهد ولد الشيطان !! الكافر المتأبى المستكبر !! ..

ولا بد أن نتعرض هنا لمعنى السجود والمراد به في هذا الموقف، وننقل عن الأستاذ البهى الخولى ما قاله في كتابه (أدم عليه السلام ص ٥٩): (ومن البديهي أن هذا السجود لم يكن سجود عبادة ونسك ، فإن ذلك لا يكون لغير الله ، إنما هو سجود تحية وتكريم ومؤانسة ، وليس ضروريا أن يكون سجوداً وضعوا له الجباد على الأرض. . كما نفعل في سجودنا شه عز وجل ، فللسجود هيئات كثيرة تتنوع بتنوع أصناف الحلائق ، والله سبحانه يقول في ذلك : ﴿ وَالنَّجِمِ وَالشَّجِرِ يَسْجِدُانُ ٢٠٠٠ ﴾ [الرحمن] . ويقول على لسان يوسف الأبيه ﴿ إِنِّي رأيت أحد عشر كوكبا والشَّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (؟) ﴾ [يرسف] ، ويقول : ﴿ وَللَّهُ يسجد ما في السَّموات وما في الأرض من دابَّة والملائكة وهم لا يستكبرون (١٠٠٠) ﴾ [النحل] . ومن البديهي أن سجود الدواب ليس كسجود الملائكة ، وسجودهما ليس كسجود الكواكب والشمس والقمر ، وسجود هؤلاء جميعاً لبس كسجود الشجر والزرع الصغير .. وهكذا .. ذلك إلى أن من معانى السجود في اللغة التطامن والتراضع ، ويقول صاحب المصباح المنير : (وسجد البعير خفض رأسه عند ركبوبه ، وكل شيء ذل فقد سبجيد) ، فإذا كنان فير سجود الملائكة معنى الذل فليس هو ذل العجودية . ولا الذل المضعة للكرامة . إنما هو نل التطامن والمودة الذي ترى شيئا منه في توله تعالى

﴿ وَاخْفِضُ لَهُمَا جَنَاحُ الذُّلُ مِنُ الرَّحْمَةِ .. () ﴾ [الإسراء] ، وتراه فيما يتبادله رحماء المؤمنين بيتهم من انكسار الآخ الخيه المؤمن الذي عبر عنه الحق تبارك وتعالى بشوله : ﴿ أَذِلَةً عَلَى الْمَؤْمنِينَ أَعِزَةً عَلَى الْكَافِرِينَ . . () النادة]

فيه سبجود غيه منعنى التنصية والمودة وخفض الجناح ، والإقترار بالفضل ، قبال القرطبي في الجنامع : (وقال قوم : لم يكن هذا السنجود المعتاد اليوم ، الذي هو وضبع الجبهة على الأرض ، ولكنه مبقى على أصل اللغة ، فهو من التذلل والانقياد .. أي : خضعوا لآدم ، وأقروا له بالفضل) (القرطبي ٢٩٣/١)

والواقع أن الموقف لم يكن بصاجة إلى هذا العناد لتفسير السجود بالتذلل أو خفض الجناح ، أو الإقرار بالفضل ، فذلك كله مبنى على التصور القديم الذي يرى الموقف محصوراً في اللحظات التي انبهرت فيها الملائكة بدبيب نفخة الله في جسد آدم ، وهو تصور تُبيِّنَ قصوراً عن فهم الموضوع في ضوء معطيات العلم ، واحتمالات النصوص القرآنية .

والذى نطمت إليه هو أن سجود الملائكة كان يعنى تكليفهم بحياطة الحياة الإنسانية ، ابتداء من (آدم) ، وهو تكليف ماض إلى يوم القيامة . تتولى الملائكة فيه المحافظة على بنى آدم ، وإلهامهم الخير ، طبقا لمشيئة الله سبحانه ، في مقابل ما توعد به إبليس آدم وذريته من الغواية والاحتناك والهيمنة والتضليل

فالملائكة هم بموجب أمار السجود - أحد طرفى المعادلة في الحياة الإنسانية ، التي قامت على الصراع بين الخير والشر

الفصلالرابع

موقف إبليس من السجود

لإبليس فى قصة آدم موقفان: موقف مع رب العزة ، وموقف مع آدم وزرجه حواء ، والموقفان يتحولان في النهاية إلى موقف واحد ، هو موقف الصراع بين الخير والشر ، أو التناقض بين الملائكة والشيطان ، ومجال الصراع دائماً هو نفس الإنسان (أدم وذريته).

ويظهر إبليس في مشهد التكليف بالسجود فجأة ، ودون مقدمات ، فلم يرد له ذكر قبل هذا المشهد ، وما كان سوى واحد من (الجن المنتشرين) في أرجاه الأرض ، ولعله كان ذا حظوة واقتراب من عالم الملائكة حتى جاء الأمر بالسجود ، وكانه مقصود به معهم ، والقرآن ينص على ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائكَةُ اسْجُدُوا لآدَمُ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانُ مِنَ الْجَنْ فَفَسَعَ عَنْ أُمْر رَبّه . ﴿ وَالْكَهَا اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّ

ولعل تجاهل القرآن لذكره في خبر الأمر بالسجود _ إنما كان لأنه مجرد فرد من (الجن) ، على حين أن الخطاب كان لعالم الملائكة بإطلاق. فلما شذ في موقفه ، وأعلن رفضه لأمر الله .. ﴿فَقَسَقَ عَنْ أَمُرٍ رَبِّه ﴾ : صار علماً على الشر ، في مقابل استجابة الملائكة الذين صاروا أعلاماً على الخير .

ونجسب أن الأمر لم يكن بالصورة التي يتضيلها العامة من المفسرين،

وعلى ذلك فقد سجد الملائكة ، وما زالوا ساجدين ، لأدم ، ولبنى أدم ، وهذه هى الكرامة التى كفلها الله لهذه الذرية المصطفاة من خليقته البشرية طبقاً لما قررته آية سورة الإسراء : ﴿ وَلَقَدْ كَرَمَنا بنى آدم وحملناهُ في البر والبحر ورزقناهم من الطّيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (﴿) إِن الإسراء ، وهي أيضا الكرامة التي اشار إليها إبليس في قصة الحوار في سورة الإسراء : ﴿ قَالَ أَرَأَيْنَكَ هَذَا الّذي كُرَّمْتَ عَلَى . . (**) ﴾ [الإسراء ، فقوعد بأن يضله فقد احتقن حين رأى ما خص به آدم من تكريم وكرامة ، فتوعد بأن يضله وذريته ، ليظهر عدم استحقاقهم لهذه الكرامة .

المنال ممال ، كاسى راب ، ها ردي زين رسيارا ومهمى تكاراً المنا والمنال والمنال والمنال والمنال والمنال المنال وأمال المنال وأمال المنال وأمال المنال وأمال المنال والمنال المنال والمنال المنال ا

نه شا سملا ليسماد زالا ما مغيلاتال ما مها لمضا لهما الفعاد الإناء الله من المحال المضا المخال المحال المحال المنافئة الما أن المنافئة الم

الله إلى النص الأول من السنويل ، الله ذكر هذا المنسهد في (- .) - * إذ قال وأنث للمُلائكة إني خالق بشرا عن طير (٣) فإذ

سراینه رشخت فیه من روحی فقعوا له ساجمان (المالالكة كالهم المالالكة كالهم المالالكة كالهم المالية و المال

وفي بداية النظر في مكونات الصوار نؤكد هنا على ضرورة مراعاة النوار في بارية النظر في مكونات الصوار بؤكد هنا على ضرورة مراعاة السافة بين ما يتبغي شامر جيلال وعظمة وعلى شيان ، وهو سبحانه الخالق البارئ المصور ، وبين إبليس من حيث في مخلوق بولجه خالقه . وهو لا يزيد في قدره عن أي مخلوق مثمرد على أوامر الخالق ، شمر على معيقه ، سواه أكان من الإنس أم من الجن .. هذا من ناصية ..

ومن ناصية أخرى يجب أن نستبعد الصورة السائجة التي يتضيابا المعادد المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد المحدد الماولين نبع بمند المحدد ا

المقبولات ، قبالله أعلى وأجل من أن تدركه الأبصبار ، أو تحده الأوهام والظنون. وغاية منا نتصوره أن يكون الحوار قد جنري من خلال الوحى النفسى . الذي أحاط بتفاصيله من يعلم السر وأخفى ، فهو - والله أعلم ... حوار جرى في نفس إبليس ، حين رفض الأمر بالسجود ، من منطلق اعتقاده بأنه خيس من أدم من حيث الأصل ، فهو من نار ، وآدم من طين ، وذلك رداً على ما ثار في نفسه من أن إباءه السجود لا تفسير له إلا الكبر والغطرسة ، وحينشذ جاءه الأصر الإلهي - أيضا - من طريق الوحى النفسى : ﴿ فَاحْرِج مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٍ ۞ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَى إِلَىٰ يَوْمُ الدِّينِ ﴾ .. وهكذا سار الحوار إلى نهايته : بكل ما تضمن من حقائق وأقدار عبرت عنها كل رسالات الأنبياء ، من لدن أدم إلى محمد ، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم السلام.

وقد يحلو لبعض المتفلسفة أن يروا في هذا الموقف الإبليسي تعبيراً عن القوة والشجاعة الأدبيسة .. بل وزاد بعضهم في المغالطة ، فراى في هذا الموقف آية على منتهى الـتوحيد ، فسهو لا يسجد إلا « وحده !! .. وتخيل بعضهم أن إبليس حين تمرد على الله صار رمز الحرية ، وزعيم الأحرار الرافضين للقبود !! ..

والواقع أن موقف إبليس في ذلك الصوار يعكس ملامح شخصية متناقضة غبية . غاية في الغباء والتناقض ، والضعف ، والجبن ، والجبالة، وذلك إذا ما احتكمنا إلى المقاييس الأخلاقية المثالية ، وإنما أضفى عليه حلم الله الواسع هالة من التعاظم تليق بمتكبر حقود ، هو إبليس ،

فليس من انقرة أن يتصدى المخلوق للخالق، ويتمرد عليه، وهو يعرف يقينا أنه هو الخاسر في النهاية .. بل وهو يعلم أنه يضاطب ربه ذا القوة المطلقة ، والعاس الشديد .

وليس من الشجاعة أن يتجرأ على الله ، وهو يعلم أن ذلك يؤدى به إلى جبهنم ، ويئس المدير ، ثم يستمر في هذا التجرؤ إلى هـ د الوقاحـة والتحدي العبيط !!

وليس التوحيد إلا الإذعان بالعبودية والطاعة المطلقة الله وحده لا شريك له ، والانصياع لأوامره ، وإبليس حين رفض السجود لأدم لم يكن إلا رافضاً لأمر الله ، وقد أوقعه في هذا الجرم سدوء تأوله ، أو لنقل : إنه قد ركبة في هذه اللحظة شيطان آخر أعتى منه .. لو صح التصور .. فأغراه بالتمرد، وأعماه عن تبين وجه الحق الذي أدركته الملائكة، فالملائكة هم في الراقع أذكى منه ، وأعمق توحيداً ، على حين خبرج هو عن دائرة التوحيد!!

ويكفى دليادً على غباء إبليس أنه وقد خفي عليه المعنى الصحيح للسجود، وهو موالاة آدم وذريت - إلى يوم القيامة ، كما أدركت ذلك الملائكة - انبسرى بعقله الغبى يعقد مقارنة بين النار والطين ، ويزعم خيريته على آدم من هذا الجانب ، مع أن الطين عند التأمل خير من النار ، فهو زكى معطاء ، وهي أداة إهلاك وعذاب .

وفضلًا عن ذلك ؛ فإن الأمر بالسجود لآدم لم يكن يعني أفضليته ، بقدر ما كنان يعنى إرادة تنظيم الحنياة الجديدة على أساس من تعناون المستويات الخلقية الشلائة : النور والطين والنار ، أو الملائكة ، والبشر والجن ، وخضوع الجميع لأمر الله وإرادته ,

وهب ـ يا إبليس ـ أن السجود كان يعني الافضلية ، فإن هذه الافضلية لم تكن تعنى الأصل المادي ، بل هي تعنى تعلق الإرادة الإلهبية بالأمر

مناهدة من ناهية ، ثم إن معيار الأفضلية في مستواها العلوى ليس مادة الله . من طين أو من نار ، بل هو التنافس في طاعة الله ، كما قال تعالى حكم التنزيل : ﴿ إِنَّ أَكُرْمَكُمْ عندَ اللّه أَتْقَاكُمْ . . (عَنَ السّمرات] ، فقد حكم التنزيل : ﴿ إِنَّ أَكُرْمَكُمْ عندَ اللّه أَتْقَاكُمْ . . (عَنَ السّمرات] ، فقد المحاوات الرضوان جني من نار ، وقد يرسب في قاع الجحيم الد. . من طين ، لأن المعيار هو التقوى .

"والمين والنار، ولو كان ذلك صحيحاً لفخرت الملائكة عليه بانها النور)، وهو خير من النار تطعاً. بمقياس إبليس بال وبكل النور)، وهو خير من النار تطعاً. بمقياس إبليس بال وبكل النور)! وإذا كان أتباع الشيطان وعبَدتُه قد تصوروا أن إلههم هو رمز أنان !! وإذا كان أتباع الشيطان وعبَدتُه قد تصوروا أن إلههم هو رمز أنان أنه وزعيم الأحرار فحما ذلك إلا أثر من آثار تسلطه بغبائه على وأم إن كانت لهم عقول القد تعلقوا بمفهوم التمرد الذي أبداه إبليس واجهة أمر خالقه ، ولم ينظروا إلى أنه لم ينكر ربوبية الله ، في النه أن ينظره إلى يوم البعث ، وفي قسمه بعزة ربه ، وهو مسلك يصمه النافض أو بالجنون ، إذ كيف يُقبِلُ منه أن يتمرد على (رب العرق) النافض أو بالجنون ، إذ كيف يُقبِلُ منه أن يتمرد على (رب العرق) أن أن غبياً غاية في الغواية والإغواء والذلة ، عامداً متعمداً .. اللهم إلا أن غبياً غاية في الغباء ، أو منقاداً لشيطان أعتى منه ، تسلط عليه أن أن يتمد على التمبيز فلم يلحظ أن منه الفاضح !! فإذا لم يكن هذاك شيطان قبله ، فهو إذا انطماس برة ، وعمى البحس ، وهو أو لا وأخيراً الحقد الذي منكه تجاه آدم

ان مى الحرية إذا ؟ اللهم إلا أن يكون معنى الحرية هو الانتحسار "ماة ، والتحلل من كل قيمة تعمر بها الحياة .. أن يكون معنى الحرية

هو تخريب الدنيا ، وتدمير بنائه الإلهى ، ونشر الفساد والإلحاد ، وإشاعة الفوضى والانفلات ، وسيادة الحقد على وجوه الحياة كلها ؟!!

ومع ذلك ، إن إبليس كان في مرتف مغروراً ، لانه زغم لنفسه القدرة على إغواء الناس أجمعين ، إلا المخلصين منهم من عباد الله ، وعجيب أن يدرك هذا الفرق بين الغراية والإخلاص ثم يستمر في مزاعمه ، فكان نذير الله بأن يملأ جهنم منه ومن أتباعه أجمعين ، وبهذا ختم الحوار - كما قدمته سورة (ص) - في أول سياق يتعرض لهذه القصة .

فإذا قرأنا ما جاء في السورة التالية لها ، في سور الأعراف الثامنة والشلائين و وجدنا مريداً من التفاصيل عن أساليب إبليس في إفساد الحياة الآدمية (الإنسانية) ، وهو مضمون قوله : (الاغوينهم) : ﴿ قَالَ فَهُما أَغُرْيَتَنِي الأَقْعُدُنَ لَهُمْ صَرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ () ثُمَّ الآتِنَهُم مَنْ بَيْنِ أَيْديهم وَمَن خَلفهم وعَن أَيْمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين () ﴾ [الاعراف]

وفى السورة التاسعة والاربعين - الإسراء - يضاطب إبليس ربه : عِ قَالَ أُرَأَيْتُكُ هَذَا الذِي كُرَمْتُ عَلَىٰ لَبِنْ أَخُرُنْنِ إِلَىٰ يُومَ الْقَيَامَةِ لِأَحْتَنِكُنَ ذُرِيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (17) ﴾ [الإسراء]

ويجيبه الله سبحانه : ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مَنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمْ جَزَاؤُكُمْ حَراءٌ مُوفُورًا (عَ) وَاسْتَفْرَزُ مَن اسْتَطَعْتَ مَنْهُم بصُونَكَ وَأَجْلَبْ عَلَيْهِم بِخَيْلُكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَ عَرُورًا (قَ عَلَيْهُم الشَّيْطَانُ إِلاَ عَرُورًا (قَ عَنْهُم الشَّيْطَانُ إِلاَ عَرُورًا (قَ عَنْهُم السَّيْطَانُ إِلاَ عَرُورًا (قَ اللهُ ا

وفى السورة الثالثة والخمسين ـ الحجر ـ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغُويْتُنِي لأَزْيَنِنَ

لهم في الأرض ولأُغُوينَهُم أَجْمَعِين اللهِ إِلاَّ عِبَادك مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين اللهُ الدجر]

و فى السورة الثالثة والتسعين - النساء - يسأتى حديث عن الشيطان، والمقصود به إبليس - قال تعالى : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاتًا وَإِن يَدْعُونَ اللَّهُ وَقَالَ لاَّتُخذَنْ مَنْ عَبَادَكُ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١٠٠٠) الأَنعَامُ وَلاَصْلَنَهُمْ وَلاَّمْرِنْهُمْ فَلَيْعَيْرُنَ خَلُقَ اللَّهُ وَقَالَ الْأَنعَامُ وَلاَّمْرِنْهُمْ فَلَيْغِيْرُنَ خَلُقَ اللَّهُ وَمَن يَتَحَدُّ الشَّيْطَانَ وَلِيَّا مَن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِر خُسُرَانًا مَبِينًا (١١٠٠) يَعَدُهُمُ وَيُمنيهُمْ وَمَا يَعَدُهُمُ الشَّيطَانَ وَلِيًّا مَن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِر خُسُرَانًا مَبِينًا (١١٠٠) يَعدُهُمُ وَيُمنيهُمْ وَمَا يَعدُهُمُ الشَّيطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٢٠٠٠) ﴾ [التساء] .

وهكذا ـ عبر النصوص المتتابعة ـ يتضح المقصود بالغواية في قوله تعالى : ﴿ لأُغُونِنَهُمْ ﴾ ، فهو يقعد لبني آدم على الصراط المستقيم ، بأن يعترضهم على طريق الإسلام ، وهو يتسلىل إلى حياتهم صن كل انجاه بوسوسته بقدر ما يستطيع ، وقد ورد في الحديث : (إن الشيطان قعد لابن آدم باطرقه ؛ قعد له بطريق الإسلام فقال له : تدع دين آبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له : تدع ديارك فتتغرب ، فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له : تقاتل فتقتل فيقسم مالك ، وتنكح امرأتك ، فعصاه فقاتل) (الكشاف ٢٠/٧ فتقتل فيقسم مالك ، وتنكح امرأتك ، فعصاه فقاتل) (الكشاف ٢٠/٧ كناية عن محاولته الهيمنة عليهم ليذهلهم عما خصهم الله به من الكرامة ، ومو منا جاء في النصر التبالي في سورة الإسبراء ، الناسعة والأربعين نوولاً . في الآية الكربية ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الّذِي كُرُمْتَ عَلَيْ أَيْنَ أَخْرَاتِي الْيَ لِيوْمُ الْقيامة لأحتكن ذُرِيّتُهُ إلا قليلاً (آتَ ﴾ [الإسراء] ، والاحتناك ، مأخوذ عن يومُ القيامة لأحتكن ذُرِيّتُهُ إلا قليلاً (آتَ ﴾ [الإسراء] ، والاحتناك ، مأخوذ عن الحنك _ فكانه بترعد بأن يلتهم بوسوسته بني آدم ، إلا قليلاً منهم ، سن

يعبصم الله من غواية الشيطان ، وهذه صورة أخرى من تفسير معنى الإغواء .

ويرد الله سبحانه وتعالى عليه هذا الوعيد: ﴿ قَالَ اذْهُبُ فَمَن تَبِعَكُ مَنْهُم فَإِنْ جَهِنَهُ جَزَاءُ مُوفُورًا (٦٣) واستفززُ من استطعت منهُم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا عرورا (١٤) إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا (٤٠) * [الإسراء] . وفي هذا الرد توصيف لوسائل الإغواء ، ومدى ما يمكن أن يكون لإبليس من أساليب تخريب الحياة الإيمانية ؛ أن يستفن الناس ويستخفهم بصوته ، وأن يجلب عليهم ويصيح بهم بكل ما يملك من خيل ورجل ، وهو كناية عن الضجيج والصخب ، والتسلط ، وقد يدخل في مضمون الصوت والجلبة كل كلام من العبث والجون ، والفحش والبذاء ، ونداءات الجنس ، وأفلام الانحلال ، وكل هذه أساليب شيطانية تحقق أهداف إبليس .

وحسبنا في هذا قول رسول الله في : (إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) ، فهو جار إلي المخ مباشرة ، ويبقى في الآيتين السابقتين قوله تعالى : ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمُوالِ وَالْأُولَادِ ﴾ ، وقد فسره الزمخشرى بقوله : وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها كالربا ، والمكاسب المحرمة ، والبحيرة والسائبة ، والإنفاق في الفسوق والإسراف ، ومنع الزكاة ، والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ، ودعوى ولد بغير سبب ، والتسمية بعبد العزى ، وعبد الحارث ، والتهويد والتنصير ، والحمل على الحرف الذميمة ، والأعمال

على المنال ، في الآل من المنال المنا

والنص هذا يذكر من أساليم الشيطان (الإضالال) وهو لنظ عام من المالي (قينُمُوا) بالإمالي النص السوي ، رسفه له والامالي الباطلة من طول الاعداد، وبارغ الأمال ، ومست العموم المنه ينبع توبة ، إلى نيان تينه بينه بينه يتدلا له يت عناك الكواذ، ، شم يتك المالية عنائي عنائي ين تبثيا المالية والتراثق التراثق إذا واست عسان المالية التراثق المنافع المنافع

: تالفعاله وسف انه لهسن

الأولى: أن إبليس فيصا توعد به لم يكن يرسم خريطة الحياة الأدمية الأولى: أن إبان لي الموعدة المراه المواهدية الأولى المواهدية ا

، المتقيقة أن القيفي أن المغيني لا يسيان المايقة النيقة أن القيانية ، المنقطة المنقطة أن المغينية المنقطة الماية المنقطة المناقطة المناقطة المنقطة المنقطة المناقطة ال

الكشاا كإن الله المنافية المن

اتباعه من شَياطين الإنس والجن وحدهم.

ويبقى من هذا الحوار ما جاء من قوله تعالى فى سورة (ص): ﴿ قَالَ فَاخُرُجْ مَنْهَا فَإِنْكَ رَجِيمٌ (٣٧) وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْتَى إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٢٧) ﴾ [ص]. وقد جاء فى مقابلها فى سورة الاعراف: ﴿ قَالَ فَاهَبِطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لِكَ أَن تَنكَبُرُ فِيها فَاخُرُجُ إِنْكَ مِنَ الصَّاعُرِينَ (٢٠) ﴾ [الاعراف]، كما تكرر هذا الامر بعدما أظهر إبليس من وقاحة فى مضاطبة المولى عز وجل: ﴿ قَالَ اخْرُجُ مِنْهَا مَذْهُومًا مَدْحُورًا .. (١٨) ﴾ [الاعراف].

وما جاء في سورة الحجر لا يختلف عما في سورة (ص) : ﴿ قَالَ فَاخُرُجُ مِنْهَا فَإِنْكُ رَجِيمٌ ﴿ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَى إِلَى يَوْمُ الدّينِ ﴿ وَال فَاخْرِجُ مِنْهَا ﴾ أو ﴿ قَالَ فَاخْرِجُ مِنْهَا ﴾ أو خَالَهُ فَاهْبِطُ مِنْهَا ﴾ وكلاهما يثير سؤالاً عن المقصود بالضمير في (منها) ، علام يعود هذا الضمير ، ولم يتقدم ذكر لما يعود إليه ؟ .. وذلك مع ملاحظة أن الأمر صوجه إلى إبليس وحده ، على خلاف الأمر الآخر الذي ملاحظة أن الأمر صوحه إلى إبليس وحده ، على خلاف الأمر الآخر الذي جاء في الخطيئة : ﴿ قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بِعُضَكُم لِعُضْ عَدُو ً . . (١٣٤ ﴾ [الاعراف] ، أو ﴿ قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضَكُم لِعُضْ عَدُو ً . . (١٠٠٠ ﴾ [الاعراف] ، أو ﴿ قَلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا . . (٢٠٠٠ ﴾ [النقرة]

إن المتأمل في الأصر الموجه إلى آدم وزوجه لا يعسر عليه أن يلاحظ عود الضمير إلى (الجنة) المذكورة في السياق المتقدم من القصة ، أما الأصر الموجه إلى إبليس وحده فهو الذي يشير التساؤل ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن المراد هو الهبوط أو الخروج من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من المتقلين .. ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكُرُرُ فِيهَا ﴾ وتعصى ﴿ فَاخْرَجَ المتكبرين من المثقلين .. ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكُرُرُ فِيهَا ﴾ وتعصى ﴿ فَاخْرَجَ

إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ . أى : عن أهل الصحفار والهوان على الله ، وعلى أوليائه لتكبرك .. وذلك أنه لما أظهر الاستكبار (ألبِّسَ الصفار) (الكشاف 19/٢) .

ويرى صاحب المنار: (أن الهبوط هو الانحدار والسقوط من مكان إلى ما دونه ، أو من مكانة ومنزلة إلى ما دونها ، ثم قال : والضمير عائد إلى الجنة التي خلق الله فيها آدم ، وكانت على نشر مرتفع من الأرض (المنار ٨/ ٢٩٦) ، ولعل بيان الزمخشري أقرب إلى العقل ، لعدم تقدم ما يعود عليه الضمير ، سوى ما يقهم من المقام ، والأمر ليس إهباطاً مادياً .. بل هو نوع من الزجر ، كما قبال سبحانه وتعالى : ﴿ اذْهِبُ فَمَنْ تَبِعَكُ ا منهم.. ﴾ ، ولأن الجنة التي وردت في الحوار مع آدم قد أسكنه الله إياها بعد صدور هذا الأمر إلى إبليس، وقريب من ذلك ما ذكره صاحب المنار عن الحافظ ابن كثير قال: (يقول تعالى لإبليس بأمر قدر كرني . فاهبط منها بسبب عصيانك لأمرى ، وخروجك عن طاعتى ، فيما يكرن لك أن تتكبر فيها ؛ قال كثير من المفسرين : الضمير عائد إلى الجنة . ويحتمل أن يكون عائداً إلى المنزلة التي هو فيها من الملكوت الأعلى ﴿ فَاحْرِجِ إِنْكُ مِنْ الصاغرين ﴾ .. أي : الذليلين الصقيرين .. معاملة له بنقيض قصده ، ومكافأة للراده بضده ، فعند ذلك استدرك اللعين ، وسأل النشرة إلى يوم الدين) . (المنار ٢٩٧/٨) ، وعلى نسق هذا الأسلوب تجرى تعبيرات مماثلة على ألسنة العوام ، لا تراد حرفيتها .. بل المراد مضمرنها المرتفى ، كتول العامة: (اطله منها وهي تعمر) ، فالقصود هنا مجرد الانصراف عن الموضوع ، وعدم التدخل فيه .

ولقد يعين على تبين المراد بالأمر الموجه إلى إبليس (اهبط منها) - أنه

Jan 1

177

17.

الفصل الخامس

بين إبليس و آدم في الجنة

يبدأ الفصى الشائي من الحوار في قبصة الخلق ، بعد افتضاح أمر إبليس، وإعلانه السافر عن عداوته لأدم وذريته ـ يبدأ هذا الفصل بتوجيه الله لأدم أن يسكن هو وزوجه (حواء) الجنة ، وأول آية تحدثت عن هذا التوجيه هي "ية الأعراف: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتُ وَزُوجُكُ الْجَنَّةُ فَكُلا مِنْ حَيْثُ سُنْهَا وَلا نَقْرِهِ هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونًا مِنْ الطَّالَمِينَ ﴿ الاعراف]

الأولى: أن يمارس فيها آدم أساسيات الرسالة التي اصطفاه الله لتبليغها إلى ذريته ، ولا سيما التكاليف الاخلاقية ، والتعاليم الدينية المتصلة بالدنيا والأخرة ، وهو ما يبدو متألفاً في قصة ابني آدم (هابيل وقابيل) في سورة المائدة ، ولا ريب أن الولدين قد تلقيا عن أبيهما كل ما دار في حوارهما من تعاليم كالتقوى والفجور ، والتوحيد والشرك ، والحالل والحرام والعبدل والظلم ، والجنة والنار ، وفي هذه الجنة

اقترن في آية الأعراف بما يفسر هذا المراد ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَاخُرُجُ النَّكُ مِنَ الصَّاعَرِينَ ﴾ ، و (الهبوط) حركة رأسية من أعلى إلى أدنى ، و (الخروج) حركة أفقية من مكان إلى آخر ، والجمع بين البعدين على المستوى المادى متناقض ، فلم يبق إلا المستوى الأخلاقي ، وهو الهبوط من قمة الطاعة إلى درك التمرد ، والخروج من حرم الرضوان إلى حماة الفسوق والعصيان ، وذلك يمكن تفسير الهبوط بالخروج .

فاما أن يقال: إن الأرض أقل من السعاء فقول لا موضع له ، لأن الكون كله خلق الله وصنعته ، وهو مجال لأمره سبحانه ، وشالخلق والأمر ، والأماكن تشرف بأنها صنعة الخالق ، لا بمن تعلق بها من المخلوقات طائعا أو عاصياً ، فاستوى بذلك الظرف والمظروف ، وقد يخص الله بعض خلقه بعض خلقه ببعض خلقه ، وكل ذلك في إطار الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين .

إن انه سبحانه لا يكره خلقه لذواتهم . بل يكره منهم افعالهم التى نهاهم عنها ، ويدعوهم إلى مزايلتها ، مزايلة لإبليس الذى افتضح أمره ، وتعرى من ملابسه ، وأغرقهم في وساوسه ، كما أن الله يدعوهم إلى فعل المأمورات حتى يحبهم ، ويزيد في الإحسان إليهم ، فمن أطاع الله فقد ارتكس في درجات الملأ الأعلى صعدا ، ومن عصا الله فقد ارتكس في دركات العناب حدراً ، وبئس المصير ، وهذا هو الأصل ، أو هي السنة التي عامل الله بها خلقه المكلفين بطاعته ، منذ كان التكليف .

الأرضية كانت الخطيئة التي سوف نتعرض لتاقشتها بعد قليل .

الثانية : أن هذه الجنة كانت بثابة اللجا الأمن الذي يعزل آدم وزوجه للثانية : أن هذه الجنة كانت بثابة الله أدم وزوجه بعد الاصطفاء – هن سائر البشر، غارج نطاق التكليف الديني . ريشما تخاسا الماسكة الارضية من وجودهم .. إذ إن الارض لن تكون بعد ذلك إلا لأدم وذريت ، وهي بداية العبد الإنساني .

اقد غلق آدم من تراب الارض، ليعمر هذه الارض، وذلك قدر الله منذ شاء غلق البشر ، وهم أعمول أدم .

وما أشبه ما حسد انذاك ، حين عزل أدم وزوجه في الجنة ، بما عدد المدال إبارة المابية ، نما عدد المدال المرابية المدالية والمابية ، فقد حمل ذوح في فلكه من كل زوجين اثنين ، وأما عده ثم توامل الطوفان تطهير الإرض من المسركين وأثارهم ، وقاد أنوا القال حتى فوأستون غيّ ألبودي أوفي من المسركين وقالهم ، وقد أنها التلا القال عتى فوأستون أنها أبيو إوفي أنها القوامين وقاله أمين المدكن وسفاكي الماء، وهو ما تولت القدة الإلهية تنفياء فترة سكني أدم وزوجه في الجنة .

17

على أن من الضروري أن نشير هذا إلى أن دلالة لفظ: (المنح) على الدلالة المنان لا دلالة المناز ال دلالة المناز الله على (دار النعيم الاخروي) ، وهي دلالة مجازية ، جاء بها القرآن ، كما جاء بالدلالة الصقيقية ، ومن ذلك مل جاء في سورة (القلم) ، وهي السورة الثانيية نزولا من قرابة تعالى : ﴿إِنَّا بَالْ الْعَلَمُ الْمَالِي المناز المناز المناز المناز المناز الله الله الله المناز الم

ونعرو إلى الجنة وساكنيُّ بأ اللذين زورهما ربهما بكل ما يلـزمهما من تتبيهات وتحـذيرات من حقد إبليس عليهم ، ولكن هيهات لأدم وزوجه ،

وهما حديثا عهد بالتكليف، قليلا الخبرة بالاعبيب العدو وأخلاقه الوضيعة .. هيهات لهما أن يقاوما ما واجبها معه من إغراه ! أثار شهبتهما ، وحرك غرائزهما .

لقد كان ترجيه الله لهما: ﴿ كُلاَّ مِنْ حَسِيْتُ شَنْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِه الشُّجْرُةُ ﴾ وما أعظم ما أباح لهما من نعم ، وما منحهما من الحرية ، بالقياس إلى ما منعهما منه ، وجاء الشيطان يوسوس لهما . صارفا لهما عن نعم الله الوفيرة والمباحة ، مركزاً على تلك الشجرة المحظورة ، وهي معيار الطاعة والمعصية .. جاء الشيطان قائلاً لهما و ما نهاكما ربكما عن هَذه الشَّجْرَة إلا أَن تَكُونا مَلكِين أو تكونا من الْخالدين (٢٠) ﴿ الاعرب] ، كانت القضية واضحة ، تتعلق بتوجيه الله سبحانه لهما ألا يأكلا من الشجرة ، وكان هدف الشبيطان أن يأكلا من الشبجرة وأن يفعبلا ذلك بأي ثمن من الكذب والخداع ، فهو إذا التصادم بين أمر الله وهدف الشيطان ، وقد بدأ يمارس مهمة الإغبواء ، وينفذ وعبيده الذي أعلنه ﴿ لأَزْيَسُ لَهِ فِي الأَرْضَ وَلَأَعْوِينَهُمُ أَجْمَعِينَ (٢٠٠٠) ﴾ [الحجر] ، ولا ريب أن تلك الشجرة كانت مغرية . تدعو إلى تجربة مذاقها ، وجاء إبليس بكلام كله كذب ، فربط بين الشجرة والارتقاء إلى درجة الملائكية ، أو تحقيق الخلود ، وكلا الأصرين مطمح لأدم وزوجه، لقد علما أن شملائكة مقربين ، مخلوقين من النور . لهم عند الله الدرجات العلى ، كما علما أن كل نعيم لا محالة زائل بالوت ، كما غنيت أجيال قبلهما ، ولا مهرب من الموت إلا بتحقيق الخلود ، وما أعزه مطلباً ، وما أهونه وسيلة ، أن ياكلا من الشجرة .. مجرد مذاق . ولن يكلفهما ذلك إلا أن يمدا أيديهما إلى ثمرها ، وزادهما تعلقاً بالدخول في هذه التجربة أن اللعين أخذ يقسم لهما بالله إنه يريد صالحهما . وإنه

ناصح لهدما ﴿ وَقَاسَمُهُمّا إِنِّي لَكُمّا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (الأمراف)، وهو كاذب في كدلامه ، كاذب في قسمه ، ولكنهما لم يتصورا أن يوجد من يجرؤ على الكذب بهذه الصورة الفاجرة ، حتى ولو كان إبليس ، وغاب عنهما تماماً في هذه اللحظة تحذير الله لهما ، ﴿ فَقُلْنا يا آدمُ إِنْ هذا عدر لك وَزُورُجِكَ فَلا يُخْرِجَنّكُما مِنَ الْجَنّة فَتَشْقَىٰ (الله عليه الله وَ إله] وعلا صوت الشيطان في أذنيهما يدعوهما أن يأكلا من الشجرة ، ﴿ فَأَكُللا مِنْها ﴾ في لحظة ذهول وضعف، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير .. كانت الخطيئة التي جعلتهما من الظالمين .. يا لهول الموقف !!

أية شجرة هذه التي كان الاقتراب منها سبباً في تتابع تلك النتائج الهائلة في حياة الإنسان ؟!

لسنا نميل إلى التعويل على معرفة نوعها ، أو أثرها ، فكل ذلك لا يهم ، إذا ما قيس بموقف معسصية الإله العظيم ، رغم التحذير والتذكير ، يقول الأستاذ سيد قطب : (ويسكت القرآن عن تحديد هذه الشجرة ، لأن تحديد جنسها لا يزيد شيئا في حكمة حظرها ، مما يرجع أن الحظر في ذاته هو المقصود ، لقد آذن الله لهما بالمتاع الحلال ، ووصاهما بالامتناع عن المحظور ، ولا بد من محظور يتعلم منه هذا الجنس أن يقف عند حد ، وأن يدرب المركوز في طبعه من الإرادة التي يضبط بها رغباته وشهواته ، ويستعلى بها على هذه الرغبات والشهوات ، فيظل حاكماً لها .. لا محكوماً بها كالحيوان ، فهذه هي خاصية (الإنسان) التي يفترق بها عن الحيوان، ويتحقق بها فيه معنى (الإنسان) (الظلال ٨ , ١٢٩) .

وهكذا - رغم التحدير الإلهي - سقط الزوجان في شدرك الغواية :
و فدلا هُمَا بِغُرُورِ فَلَمًا ذَاقًا الشَّجَرَةُ بَدْتُ لَهُمَا سُوءاتُهُما وطَفقاً يُخْصَفان عَلَيْهِما

من الرق البياني .. (3) إلى المارة القران (فالامما بغرور) تعنى المن القران (فالامما بغرور) تعنى المن المنافية المنافية المنافية و القدور والاختاع حين استمال الموسعية و المنافية المارة المنافية أن المنافية أن المنافية المنافية و المنافية المنافية و المنافئة المنافئة و المناف

المالية ، قابه المالية المالية المالية المالية ، وهي المالية ، وهي المالية ، وهي المالية ، وهي المالية ، والمالية ، والم

و كل ما يقال في هذه المسألة هو محض اجتهار بعمي به أسلوب الأيدًا ومعنا با مدت . وعلى ذلك يجون أن نجته في فهمها الطلاقا من المالاعظات الأتية :

١ – أن القرآن ذكر (السوأة) بالجمع مضافا إلى مشى ، وهو ما يخير السوأة) بالجمع مضافا إلى مشى ، وهو ما يخير الموية المياه ال

۲ – اغترافي انها فريم باله قريم باله قريم المواه الماسان ا

٢ – أن أم م يكن بوائي لي الدو تنجا أبي باليو يا ي مور ما قرر أن المران المران

\$ - قواء تعالى: ﴿ وَفَقَا يُعْمَعُونَ عَلَيْهِمُ مِنْ وَوَقَ الْعَفَةِ مِنْ الْعَلَامُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

نه لمعراعي عنو ، لمون إما لغالظ لمونا قريما ، له عنو مغرف التعالى المعرب الله عليه عنو معرف المعرب الله عليه معرف معرف معرف ، لمعرب الله عليه معرف معرف معرف المعرف المعرف ، لمعرف المعرف المعرف ، المعرف المعرف معرف المعرف المع

لمحلق به لمذها ألما المولى المعادلة في منه الحال المال منه منه المال الميل المولى الميل ا

الفصل السادس

اللغة والأسماء القديمة الله الملائكة – أدم – إيليس – الشيطان

الله

كان القرآن ـ ولا يزال ـ الوثيقة اللغوية التي نعتب عليها في معرفة الاسماء التي وردت في قصة الخلق ، وما يتصل بها وأقدم الاسماء على الإطلاق هو لفظ الجلالة (الله) ، فهو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، والفروض أنه قبل ظهور (الإنسان) ـ لم يكن البشر يعرفون شيئاً سوى ما تهيئه لهم طبيعة مرحلة النمو التي يعيشونها ، فقبل أن يكون العقل ، وقبل أن تتكون اللغة لم يكونوا يدركون شيئاً عن حقيقة الحياة ، وطبيعة الوجود ، إلى أن كان اصطفاء (آدم) فعرفت الخليقة خالقها ، بدءا من معرفة آدم لربه ، وفي نفس الموقف برزت أسماء بعض المخلوقات : الملائكة ـ البشر ـ آدم ـ إبليس ، ولا ريب لدينا في أنها أسماء قديمة ، الملائكة ـ البشر ـ آدم ـ إبليس ، ولا ريب لدينا في أنها أسماء قديمة ، المتخدمت قبل أن تظهر العربية إلى الوجود ، وقد وردت هذه الاسماء في كالام الله ضمن حديث القرآن عن قصة الخلق ، أولى قصص الوجود للبشرى والإنساني معا .

ونحن لا نتصهور أن هذه الأسماء كلمات مأخوذة من العربية للتعبير

وهذه الكلمات هي التي أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿ فَتَلْفَىٰ آدمُ مِن رَبِّهِ كُلُّمَاتَ فَتَابٌ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ البَّدَةِ] .

وقد عبر القرآن عن الموقف كله بقوله : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبُّهُ فَغَوَىٰ ٢٠٠٠ ثُمُّ اجْدَاهُ رَبُّهُ فَعُونَىٰ ٢٠٠٠ ثُمَّ اجْدَاهُ رَبُّهُ فَعُونَىٰ ٢٠٠٠ ﴾ [ك] .

وارجع سبب الوقوع في الغواية إلى أنه لم يكن عامداً .. بل ناسياً : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (عَن ﴾ [طه] .

ويمكن تفسير نسيان آدم بأنه داخل في مضمون الجهالة في قوله تعالى . ﴿ إِنَّمَا السُّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لللَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةً ثُمَّ يَسُوبُونَ مِن قَرِيبٍ . • ﴿ إِنَّمَا السَّاءَ] .

وهو موقف يختلف عن موقف إبليس الذي علم السوء ، وفعله ، وأصر عليه ، ولذا استحق أدم وزوجه أن يتوب الله عليهما .

وعند هذا المقطع من تسلسل الاحداث اكتملت معادلة الحياة الدنيا بكل عناصرها: (الامر - الوسوسة - المخالفة - الندم - المغفرة)، فأن الاوان لنزول آدم إلى معترك الحياة الدنيا، وقد ترسخت في عقله ونفسه تلك المعادلة، بعد أن هيئت له الساحة، وأخليت الارض من المفسدين وسفاكي الدماء، ولم يعد فيها سوى الإنسان الجديد، (آدم: أبي الإنسان، وحواء أمه) في مواجهة إبليس عدوهما اللدود، وقامت الحياة على هذا العداء المتبادل: ﴿ قَالَ الْمِطُوا بَعْضَكُم لَبْعُضْ عَدُو وَلَكُمْ فِي الأَرْضُ مُستَقَرِّ وَمَنْهَا تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَحْرَونُ وَلَيْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَحْرَونُ وَمُنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها تَمُونُونُ وَمَنْها لَاللَّهُ وَمِنْها تَمُونُونُ وَمَنْها لَعْمَالُهُ فَيْ اللَّهِ وَمُنْ وَمَنْها لَعْمَالُهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنْ وَمَنْها لَاللَّهُ وَلَيْها لَاللَّهِ وَلَيْها لَاللَّه وَمُنْها تَمُونُونُ وَمِنْها لَاللَّهُ وَلَالْها لَاللَّائِقَالُ فَيْهَا لَا فَيْكُمْ لِمُنْها لَاللَّهِ وَلَالْها لَاللَّهِ وَلَالْها لِللَّه وَلَالًا فَيْها لَاللَّهِ وَلَالًا فَلْهَالْهَالِهُ وَلَالًا فَلْهَالُونُ وَلَالُهُ فَلْلُولُونُ وَلَالًا فَلْهَالُونُ وَلَالًا فَلْهَالِهُ وَلَالَالْهَالُونُ وَلَالًا فَلْونُ وَلَالًا فَلْهَالُونُ وَلَالَالِهُ وَلِيْهِا لَاللَّهُ وَلِيْها لَاللَّهُ وَلِيْلُونُ وَلَالًا فَلْهَالِهُ اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللَّهِ وَلِي الللَّهِ وَلِي الللَّهُ وَلِي اللَّها وَلَا لَاللَّها لَاللَّها وَلَا لَاللَّها وَلَالِها لَلْهَالِهُ لَاللَّهُ وَلِي الللَّهُ وَلِي اللَّهُ وَلِهُ وَلِلْهَا لَاللَّهِ اللَّهِ وَلِي اللَّهُ وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلْها لَاللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلَالِهُ وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّه وَلِي اللّ

ولسنا بخاجة إلى تكرار أن الأمر بالهبوط مرادف للأمر بالخروج .

عن شخصيات القصة ، فقد كانت القصة قبل أن تكون اللغات بالشكل المعروف ، نوعاً وعدداً ، وقد عرفت تلك الشخصيات بهذه الاسماء التي جاءت في كلام الله ، وهذا هو السر في شيوعها في كثير من اللغات الإنسانية بصور نطقية متقاربة ، فلفظ الجلالة : (الله) معروف هكذا في اللغات السامية القديمة ، ومنها العربية ، كما تعرفه اللغات الأوربية .

ولقد حاول الاشتقاقيون أن يردوا لفظ الجلالة (الله) إلى جدر اشتقاقي ، فقال كثير منهم بانه مشتق من (أله) بمعنى : فزع ، أو بمعنى: تحير ، أو بمعنى : عبد ، أو بمعنى : أقام ، وقال بعضهم : أنه من (وله) بمعنى : أحب ، وقال غيرهم : إنه من (وله) بمعنى احتجب أو ارتفع .

وأغلق بعضهم باب الاشتقاق وقال بانه غير مشتق.

وفريق ثالث قال: بأنه غير عربى ، فهو سريانى ـ أو عبرانى .

والأكثرون على أنه عربي.

والذى نراه أن ذلك كله خبط فى ظلماء مدلهمة لأن الله سبحانه أخبر عباده بأنه (الله)، وطلب منهم أن يعبدوه ويوحدوه لأنه (الله)، والخطاب هنا ليس عربياً لقوم عرب .. بل هو خطاب إلهى كونى صدر عن خالق الكون ، والإنسان ، واللغات ، فهو إذن ليس اسماً صاغته ألسنة المخلوقات .. بل تلقته هذه الألسنة من الملأ الأعلى علماً على ذات المعبود بحق ، واستوعبته العربية ، كما استوعبته سائر اللغات التى تلقت رسالات السماء ، ونطقت به حسب قوانينها ، وتقاليدها ، وقدراتها النطقية . فلا ينبغى أن يدرج في معجم العربية على أنه كلمة من كلماتها ..

بل على أن اللسان العربى نطقه هكذا كما لقنه ، وكما نطقه غير العرب ، وقد اخترع العبرانيون إلوهيم ، أو يهوه ، كما ورد إيل ، وإلّ ، ولكن يبقى (الله) ، وتتلاشى كل الاختراعات أو الواردات فلفظ الجلالة هو أصل الاسماء ، وأولها ، ومُستُدرها ، كما أنه مصدر اللغات والالسنة ، وصدق الله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السّمُواتُ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلافُ أَلْسَنَتُكُمْ وَالْوَانِكُمْ . . (الدوم) وهو القديم ، وما سواه محدث ، وهو قديم بذاته ، وباسمه قبل أن تكون الكائنات .

الملائكة

وأما عن (الملائكة) فهى كلمة إسلامية أيضاً .. لم تستخدم فى العربية قبل أن يرد ذكرها فى بداية الوحى ، فى سورة المدثر ، وهى رابع سور القرآن نزولاً ، وقد ردها اللغويون إلى الجذر (ألك) ، الذى اشتقت منه كلمة (مألك) ، ثم حدث قلب مكانى ، فحصارت (مالائكة) ، ثم جمعت فصارت (ملائكة) ، ولا دليل على استخدامها فى العربية قبل القرآن .

وأقطاب (الملائكة)، وفي مقدمتهم (جبريل وعزراشيل)، جاءت تسمياتهم مركبة، وهي شائعة في كثير من اللغات، فكلمة (جبرائيل) جزؤها الأول جبر) بمعنى (رجل)، وكلمة (عزرائيل) جزؤها الأول (عزر) بمعنى (قبرة)، وهما مضافتان إلى لفظة (إيل).. أي: الله، وكان الأول يعنى (رجل الله)، والثاني هو (قوة الله)، وهي ترجمة متخيلة بقدر ما تسبعه اللغة الإنسانية، وإلا فليس في الملائكة رجال أو نساء، ولا يليق أن تحصر قوة الله في ملك مخلوق واحد .. بل إن التجريد هنا غير لايق، إذ إن القوة (ومنها: القوى) من أسماء الله وصفائه

العسنى وليست ملكاً بعينه ، خاصة أن اختصاص تَوَفَى الأحياء مَعْرُوّ في العسنى . وليست ملكاً بعينه ، خاصة أن اختصاص تَوَفَى الانمرا ، ومَعْرُوّ في المقرآن إلى الله سبحانه : ﴿ اللّٰهُ يَتَوَفِّى الأَنفُسَ . . (أَنَ ﴾ [الزمرا ، ومَعْرُوّ الى ملك الموت ﴿ قُلْ يَتُوفّاكُم مَلَكُ الْمَوْت الله وَ الله وَ الله وَ الله وَ الله وَ الله الله وَ الله

إن ذلك يعنى أن هذه التسميات كانت قبل اللغة العربية .. بل هى فعلا اللغات البشرية ، وأن ما حاول الاشتقاقيون أن يستخبرجوه من العانى في ضوء الربط بين الاسم ، وجذره اللغوى المفترض مو في الحقيقة افتعال يقلب القضية رأسا على عقب !!

أدم

لقد حاول الاشتقاقيون أن يجدوا لأدم أصلاً في (أديم الأرض) الذي القرمنة ، والحق - في نظرنا - أن أديم الأرض اشبتق من (آدم) الذي الذي الإنسان) بالمعنى العام في كثير من اللغات ، وكان مرتبطا دانما التراب ، والطين ، فأطلق على مادته التي خلق منها : أديم ، على سبيل الاشتقاق من الجوامد ، وهو مجاز مرسل علاقته الأصلية والفرعية ، إن التصور .

ويمكن أيضاً أن يقال : إن (الأدم) بمعنى : الجلد .. مشتق كذلك من

(آدم) ، ويطلق على الجلد : البشرة ، وللبشرة علاقة لفظية بالكلمة القديمة الأولى في ملحمة الخلق ، كلمة (بشر) التي تفردت بها العربية حكما سبق أن قلنا .

إبليس

أما كلمة (إبليس) فهى موجودة في لغات قديمة كاليونانية (ديابولوس)، وهي كلمة تبدو مركبة من جرئين: (ديا + بولوس)، وقد أخذت اللغات الأوروبية، باعتبارها أحدث من اليونانية - الجزء الأول من التركيب - (ديا)، ونطقتها (ديابل Diable)، وأخذت العربية وأخواتها الساميات الجزء الثاني من التركيب كما هو (إبليس) مع تنوع في طريقة النطق، هذا ما قرره محقق الزينة

ولا يبعد في تقديرنا أن تكون الكلمة من عطاء القرآن للعربية .. وهي أقدم اللغات السامية . فلم نعثر على ما يشهد بوجودها قبل الإسلام في لسان العرب .. بل إن الكلمة ليس لها مقابل لفظي أو دلالي في العبرية ، وقد وردت لأول مرة في القرآن في سورة (ص) .. أي : في سياق قصة آدم ، وذكر المعجم الوسيط أن جمع الكلمة . أبالس ، وأبالسة .

أما .. كيف عالج أهل اللغة لفظها ومعناها ؟!

فقد قال اللغويون العرب: إنه على وزن إفعيل ، مشتق من أبلس الرجل: إذا انقطع ولم تكن له حجة ، ويقال: هو من يئس ، قالوا في تفسير قوله تعالى ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ ، قال: يائسون ، قال ابن عباس: (لما لعنه الله أبلس من رحمته) . وقال الفراء: (مبلسون ، يعنى : في العذاب) ، وقال: (المبلس: التائس من النجاة والقانط ، وهو

٠ (٠٠ نَجِماا ولمقتلا ليفيا

ويقال أيضاً : أباسي، إذا سكت ولم يُعِوْ جواباً ... ويقال : أبأسل: التوزين النادم، وقد أباس الرجل إبلاساً ، أي : اكتاب وعزن ، وفي قوله العزبين النادم، وغيره وأفي أي : يتندمون ، ويكابون وبياسون ، وقال عداس في قوله تعالى : فيبلس المُعِوْمُ ونُ .. قال : الإبلاس : المنديمة ، وقال غيره : الإبلاس : التشوع .. ففإذًا هُمْ فُبلُسُونُ وَنُ علامِيهِ .. قال : ميده : الإبلاس : المندول المندول ..

هذه ــ كما قائل رؤي الإشتقالة ين العرب ، بيكم أن نلاحظ خطأ ما شعر أن معن (رسيليا) : ما راية هذا قنيناا بصلح ردل زيم لهلالبنساء من عند أن مند أن أبنة نالا (رسيليا) نأ زيم هي مدد ، علم من ذاك !! وإن أبنة نالا أبنان به منهم من ذاك !! وإذ

: فين علماء الغرب أن الكلمة مضات مصراً في العربية من اليرنائية : (ميا العرب عنه العربية : (ميا العرب عنه في العجم الكبير ١/١٢/ : أن العرب عنفت (ميا) في أول الكلمة ، وتوصلوا النطق بالساكن بزيادة الإلف في أوله ، وأن أم لي بدر ذكره في العلم الآرامية والسريانية .

يقول مصقق الزينة : (فقد يكون العيوب أخذته من اليونائية مباشرة بالتصالهم بتصارى العرب المالين للكنيسة البيزنطية . كما أشيار إليه

جفري) (الزينة : السابق - هامش) .

وشهرا بدا هذا كله مدا المنان أن المناه والمنان المناه المناه المناه المناه والمناه وا

ن العيدشان

أملا كلمة (شيطان)، وجمعها: شياطين فهو عربية قديمة، وقد تكون شياطين عربية قديمة والمعنى المعنى المعنى وزن فيعال والنون أصلية، من الأصل: شطن بمعنى البعد، فالكلمة بوزن فيعال والنون أصلية، فيكون وقد تكون من الأصدل شيط، شاط، أى اصترق من الفضب، فيكون بورن فعلان، نصو: حيران، وهيمان، فالنون زائدة (الزيئة ١٧٧٠).

ويطلق على كل عنات مشمرد من الجن والإنس والدواب : شميطان . ويقول العرب لكل منفرد بتورته بوجلده ، قوي، مستقل بنفسه ، منهمك في

امره: شيطان، قال جرير:

وكُنَّ يهوينني إذ كنت شيطانا أيام يدعونني الشيطان من غزلي اى : إن النساء يدعونه (شيطاناً) لتفرده بافعال الشيان من الغزل

ويظلق اسم (شيطان) على الحية خفيفة الجسم تبيحة المنظر، وهو أحد وجهى التفسير في قوله تعالى : ﴿ طَلَّمُهَا كَأَنَّهُ رَءُوسُ الشَّيَاطِينَ (عَنَّا مُهِ [الصافات] انظر (الزينة / ١٨١) .

ومن صفات الشيطان : (المارد) ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَحَفَظًا مَن كُلِّ شَيْطًان مَارِد () ﴾ [الصاقات] ، وهو خارج عن الطاعة ، ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَدْعُونُ إِلاَّ شَيْطَانًا مُرِيدًا ﴿١١٧ لَعَنَّهُ اللَّهُ . . (١٦٨ ﴾[النساء]

ومن صفاته (الرجيم) في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَعَذَّ بِاللَّهِ مِنَ الشُّيطَانَ الرَّجِيم (النحن عن الرجيم هو المرجوم ، كاللعين أي : (الملعون) ، وهو أيضاً كذلك بمقتبضى الخطاب الأول إليه : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُ لَّعَنَّى إِلَّىٰ يَوْمِ الدّين ﴿٧﴾ إمر] .

ومن صفات الشيطان (الغدول) ، وهو ساحر الجن ، وكذلك (السعلاة) وهي أخبث من الغول وأعظمها سحراً ,

ومن صفاته (الوسواس الخناس) ، والوسواس هو الذي يلقى بوسوسته في القلوب ، حتى يختبل الإنسان ، والخناس هو الذي يهرب عند ذكر الله سيجانه .

ومن صفاته (الغرور) لم يوصف بذلك غير الشيطان ، وهو وصف

181

على فعول ، مثل : ظلوم وحقود ونؤوم .. صفات مبالغة ، وقد يفسر (الطيف) أو (الطائف) بأن المقصود به الشيطان ، وكذلك (الخيال) ، ويذكر صاحب الزينة أن من الشياطين جنساً يقال له :

(الخُبُّل) ، وهم الذين يُخْبِلُون الناس ويؤذونهم ، وقد يدفعونهم إلى الجنون .. يقال : رجل مُخْسِل : إذا كان به مس من الجن ، والخبال هو الجنون واختلاط العقل.

ومن أسماء الشيطان أيضاً (الطاغوت) ، وهو وارد في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مَنَ الْكَتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاعُوت.. كَ ﴿ [النساء] وقوله :﴿ وَالَّذِينَ كَفُرُوا أُولْيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ . . ﴿ ﴿ الْبَقَرَةُ].

ومن أجناس الشياطيين : العفريت ، وجمعه : عفاريت ، وهو وارد في القرآن : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنْ الْجِنْ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومُ مِن مُقَامِكُ . . (عَ [النمل] ، والعفريت من كل شيء : (المبالغ ، ويقال : فلان عفرية ، وعُفارية . وهو الموثق الخلق الشديد المصحَّح) (الزينة /١٩١) .

ولم يذكر صاحب الزينة من صفات الشيطان: القرين، وجمعه: قرناء، وقد وردت الكلمتان في آي القرآن ، الأولى في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يعشَ عن ذكر الرّحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (٣٦) ﴾ [الزخرن] . والثانية في قوله تعالى : ﴿ وَقُيْضَنَّا لَهُمْ قُرْنَاءَ فُرْيَتُوا لَهُم مًّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُم . . (ت) ﴾ [نصلت] ، كما ورد ذكر (القرين) في سورة (ق) ، في الآيتين : ﴿ وَقَالَ قُرِينُهُ هَٰذًا مَا لَدَى عَتِيدٌ ٣٣ ﴾ [3] وقوله : ﴿ قَالَ قُرِينَهُ رَبُّنَا مَا أَطُّغَيتُهُ ولكن كان في ضلال بعيد (٧٤) ١٠ [ق] .

وورد ذكر القرين لنضا في سورة النساء ، في قبوله تعالى : ﴿ وَمِنْ يَكُنِّ السَّيْطِانُ لَهُ فُرِيناً فَسَاءً فُرِيناً ﴿ ۞ ﴾ [النساء] .

انتصار وعيده ، وتفرق الغرابة على الهداية ، الشرك تحرك اللعون بصوته وغيله ورجله ليتم مبهمته الكبرى ، ويشهد - لساعديه من شياطين الجن والإنس، حتى إذا شارف الإنسيان حدود الشرك بأش ، فهو يترك أسبياب الشرك من الماحس ، ومقدماته من الأثام الشيط أن الأكبر (إبليس) الدّي يحدم على أن يحقق من وراء إغوائه والشاغلة بالدنيا ، والعكوف عليها ، دون تجاوز ذلك إلى اختصاءن . وجود القرين أنصصر في الغفلة عن ذكر الله ، أو مصاولة الإغفال ، وواضح أن وغليفة القدرين بعقتضي الأيات شر كل الشد، غير أن أثر

المؤمن وصلاته . (زاد الماد ٢ / ٢٩) . زيب قايليما في الخيم في المنشان هذا الشيطان متضمي في الحيلولة بين قصال بينكنتال ، هسمال بالعيابال قد نالميشلال نأ : به سمه نبا نه وجاء في الآثار ذكر شيطان اسمه (خنزب) ، فذلك في حديث مرفوع

ن القال في القران

في مكة ، ومرة واحدة في المدينة في سورة البقرة . وقد ورد ذكر إبليس في القرآن إحدى عشسرة مرة ، منها عشسر مرات

فيها هم والفاوون (وجنود إبليس أجمعون (ف) (الشعراء] . ومرضوع البكركم * في الشرك عن النفاق عن دون الله الله ، قال : ﴿ فَكِرْكُوا اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ الله ذكره مرتين في غير القحمة ، إجداهما في سبورة الشعراء ، في سبوق ويالحظ أن مواضع ذكره لم تتجاوز قصة آدم في تسع مرات ، وجاء

177

، والماركاء ، وأضلهم فكانوا من الغادين ، على طريق الإسلام. ﴿ لا قُعْمَلُ لَهُمْ عِبِ اطْكُ الْمُسْتُ قَيمُ ﴾ - فدفعهم إبليس ماثل بشخصة في الموقف ، فنقد حقق وعبيده حين قدد لبني أدم فالبعوه إلا فريقا مُن المؤمنين (﴿ إِسَا) و واخسح أن الواقعة تشهد بأن سيلٍ البعرم، وسيار ذلك عيهم فقال: ﴿ ولقد صاف عليهم إبارت ظنه سورة سبأ في سياق يتحدث عن موقفهم من دعوة الله ، فأرسل الله عليهم والأية جنود إبليس ، لا إبليس ذاته ، وإن كان إمام أهل النار ، والأخرى في

. فنه يبغنتال ، مهور زاري ميد ييركتال زاكة ، قيله لجاا ةلتوم ، كله بالمغ نه مؤلياها بشك ثيبه ، قيرون ، هي بسائم مثل الدور الأكبر في تصة بداية العهد الإنساني ، وقد كان لذكره في مكة النفية .. بل هو اسم ذات تقررت بقيادة الخلق إلى الشرك ، وهو الذي وصيعا _ أدرككا أن اسم (إبليس) ايس علم على جنس « الكلوقيات ما أحمة هوه ، قيطا قيقا إلى في الايكا أن الله وهو أما الله المانية الم فإذا لاحظنا أن إبليد الم يذكر في وحي الدينة سوى مرة واحدة ، في

التعريف بهم وبشرورهم في كشير من آيات الرحي الكن والدني ، على مَ نَوْمُنَا مِم وَ وَمُعْلِمُونَ لِيسًا رَبُولُ السَّيَاءُ مِم مُعْمِومٍ مِ وَفِي أَنَّا مُن مُنافِع الحق ، وقامت دولته ، وعدرحت المواجبة بين جند الله ، وأعدائه ، فناسب فأما في الدينة نقد برزت على السلحة أصاك أخرى ، حين كثر أنصار

الشياطين مَنْ ذَرَبَّ إِبلِيسَ !. اللَّهِمِ إِلَّا أَذَا الْحَسَدُنَا بِمَا ذِكْرُهُ حَسَاحُبِ من دوني وهم اكم عدو .. (ق) أه [الكيف] : ولا شرى كيف فكالرت وقد أشار القران إلى أن لابليس ذرية ، فقال : ﴿ أَصَّخَلُونَهُ وَذُرِتِهُ أَوْلِياءً

المستطرف من أن إبليس (لا يلد ، بل يلقح كالطير ويبيض ويفرغ . قيل : إنه يخرج من كل بيضة ستون ألف شيطان) (المستطرف / ٢٠٤) ، فإذا استبعدنا هذا من قياس التكاثر بين الشياطين على غرار تكاثر الطيور ، والحشرات ، فقد نتصور أن طبيعة إبليس النارية تقبل التكاثر بما يشبه الانقسام ، فيحدث عند احتدام حقده تولد الشرر ، فيكون من كل شرارة شيطان وليد ، يكبر برعاية أبيه ، ويبقى معه إلى أجله المسمى .

وبذلك يبرز دور الشياطين إلى جانب دور (إبليس) زعيمهم الأكبر، وأبيهم اللعين، ليتولوا إضلال المؤمنين عن طريق الاستقامة، ودفعهم إلى المعاصى، من الكبائر والصغائر، فمن الواضح إذا أن كلمة (إبليس) علم أطلق على ذلك الشيفان الأكبر دون ذريته من الشياطين والمردة، ولهذا لم يتسمّم باسمه أحد غيره، فلم يرد في الاستعمال (إبليس الإنس)، كما ورد (شياطين الإنس)، وهم الذين نفخ إبليس في قلوبهم فصاروا له جنداً.

وربما نستطيع أن نتصور واقع العمل بين إبليس وذريته وجنوده من الشياطين ، في ضوء دلالة النصوص القرآنية بحيث يتولى إبليس محاربة بني آدم ليصدهم عن الإسلام ، ويغرقهم في الشرك ، وفي كل ما يؤدي إليه من قول أو عمز ، وتلك مهمة رهيبة تتصل بالمبادئ والعقائد والأديان ، على أن يتولى بقية الشياطين مسهمات دون ذلك ، في مجال الرذيلة والشر .. كل حسب اقتداره على الإغواء والإضلال ، وإشاعة الفساد ، فمنهم الذكي والغبي ، والنابه والكسول ، ولسوف نزيد الصورة وضوحاً عند استعراض النصوص الواردة بشأن (الشيطان) .

على أن (إبليس ا وصف في القرآن بأنه (شيطان) ، وهو ما يشي به

مثلاً .. قوله تعالى في سورة العنكبوت : ﴿ وَعَادًا وَنَمُودُ وَقَد نَبَيْنَ لَكُم مِن مُساكِنهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعُمَالُهُمْ فَصَدُّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٢٠) ﴾ [العنكبوت] ، فهده المهمة الضخمة ، المتمثلة في صرف هؤلاء الكفرة عن الإيمان ، وصدهم عن التوحيد _ هي مهمة هائلة لا يقدر عليها سوى (إبليس) ذاته ، الذي وصف بأنه (الشيطان) _ هكذا معرفا (بأل) العهدية ، أي : الشيطان الذي تعرفون ، وتذكرون قصته ووعيده ، والموقف هنا مع عاد وشمود _ الذين عاشوا في الفترة ما بين نوح وإبراهيم .

وارضح من ذلك دلالة على أن المراد (بالشيطان) هو (إبليس) - قوله تعالى في سورة (يس) ﴿ أَلَمْ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمُ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشيطان إِنَهُ لَكُمْ عَدُو مَبِينَ (آ) وأن اعبُدُوني هذا صراط مُستقيمٌ (آ) ﴾ [سر]، إننا نستطيع أن نطردها قاعدة في كل شيطان معرف (بأل)، فهو (إبليس)، ويعتمد في ذلك أيضا على دلالة السياق، فأما إذا جاء اللفظ منكرا فإننا نرجح أن يكون المراد به واحداً، فالمراد به واحد من جنس الشياطين.

الشيطان في القرآن

ورد ذكر الشيطان في القرآن مفرداً ، وجمعاً في سياقات توحى باختلاف المعنى المقصود منه ، وقد جاء مفرداً في التنزيل المكي ثلاثاً وثلاثين مرة ، وجاء مفرداً في التنزيل المدنى ثمانياً وعشرين مرة .

أما وروده جمعاً - فقد جاء في التنزيل المكي خمس عشرة مرة ، وفي التنزيل المدنى تُالاث مرات ،

ولقد نستطيع أن نميز بعض وجوه المعنى البراد من خلال مبلاحظة ورود الكلمة معرفة أو منكرة حكما سبق أن قلنا ، فإذا جاء معيرة أ

(الشيطان) فهو (إبليس) ، وإذا جاء منكراً (شيطان) قمهو واحد من جنس الشياطين (من ذرية إبليس) ، وقد جاء اللفظ منكراً (شيطان) نملا في خسة مواضع هي على التوالى بحسب النزول :

السورة السابعة (التكوير) : ﴿ وَمَا هُو بِقُولِ شَيْطَانَ رَجِيهِ ﴿ ﴿ وَمَا هُو بِقُولِ شَيْطَانَ رَجِيهِ ﴿ ٢٠٠ ﴾ [التكوير] مكية.

السورة الرابعة والخمسون (الحجر) : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانَ وَرَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانَ وَرَجِيم إلا ﴾ [العجر] مكية .

السورة السادسة والخمسون (المسافات) : ﴿ وَحَفْظًا مِن كُلِّ شَيْطًانَ مُا رَدِ السَّافَاتِ] مكية .

السورة الشانية والستون (الزخرف) : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذَكْرِ الرَّحْمَنِ لَقَطُنُ لَهُ شَيْطًانًا . . (﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذَكْرِ الرَّحْمَنِ لَقَاضٌ لَهُ شَيْطًانًا . . (﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذَكْرِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَلُ الرَّحْمَلُ الرَّحْمَلُ الرَّحْمَلُ الرَّحْمَلُ الرَّحْمِلُ الرَّحْمِلُ اللَّهُ الرَّحْمَلُ اللَّهُ الرَّحْمِلُ اللَّهُ الرَّحْمِلُ اللَّهُ اللَّهُ السَّلَّقِيْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَلُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الرَّحْمَلُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الل

السورة الشالثة والتسعون (النساء) : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاَ شَيْطَانًا مُرِيدًا (النساء) حديث .

ويلاحظ أولاً أن الآية في سورة التكوير هي أولى الآيات التي تعرضت لذكر الشيطان في القرآن ، فيجاءت به منكراً ، وقد كانت العرب تعرف (الشيطان) ، وتراه في أطياف الشعراء ، فجاء القرآن لينفي أن تكون آياته كأبيات الشعر من طائف الشيطان الذي عرفوه : ﴿ وَمَا هُو بِقُولُ شَيطان رَجِيم (٢٠) ﴾ [التكوير]

ونحسب أن وصف الشيطان هنا بأنه (رجيم) هو الجديد في هذه البداية ، لتعريف المخاطبين بأن شأن الشيطان أن يرجم بالحجارة ، وهو ما لم يعرف أهل الجاهلية ، وكانه يقول لهم : إن ما يمليه الشيطان على عقل الساعر لا يحمل هداية ، ولا يدعو إلى خير ، فهو عكس ما بنلوه

عليكم محمد على أو إن هو إلا ذكر للعالمين (١٧) لمن شاء منكم أن يستقيم ﴿ التكرير } ، وقد صحت الوحى بعد ذلك عن ذكر الشيطان ـ منكراً ومعرفاً _ طيلة ثلاثين سورة _ حتى جاء ذكر (إبليس) في سحورة (ص) لأول مرة ، وعرض ذكر (الشيطان) مفرداً بعيداً عن قصة آدم ، أي : في إطار مستقل ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وَأَيُوبُ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَنِّي مسنى الشيطان بنصب وعذاب (١١) ﴾ [ص] ، وجاء ذكره جمعاً في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلُّ بِنَاهُ وَغُواص (٢٧) ﴾ [ص] ، والآيتان تتحدثان عن أمور تتصل بقصتي نبيين كريمين .. أحدهما : أيوب ، الذي دعا ربه أن يخلصه من وساوس الشيطان أثناء مرضه وابتلائه ، والشاني : سليمان الذي سخر الله له الجن والشياطين في أمور تتبصل بما وهبه الله من ملك لم يوهب لأحد بعده ، وحين تأتى قسصة آدم في آخر سورة (ص) يذكر (إبليس) لأول مرة ، وكأنه لا علاقة له بالشيطان ، فلكل منهما مجاله ، ولكن الوحى ينزل بعد ذلك مباشرة بسورة الأعراف (التاسعة والثلاثين) . فيجمع بين إبليس والشيطان في قصة آدم ، ويطابق بينهما، ولو أننا قرأنا الآيات حـتى قوله تعالى : ﴿فُوسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ لُشَعَرْنا أن كلمة (الشبيطان) في هذا السباق تأتي في موقع الوصف ، أى : ذلك الشرير المجرم ، وملحظ الوصفية هنا أظهر من ملحظ الاسمية .

ولما كان كل من إبليس والشيطان منتمين إلى خليقة الجن ، فقد نزلت في الأعراف آية تذكر (الجن) هي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لَجَهُمْ كَثَيراً مِن الْجَنْ وَالْإِنسِ .. (الأربعون نزولا) لاكتال الصورة بكل مكوناتها ، وليتعرف أهل القرآن على أجزاء ذلك العالم الخفي .. ذلك العالم الذي وصف في سورة الأعراف يأن له (قبيلا) ، فقال : ﴿ إِنّهُ يُواكُم هُو وَقْبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تُرونَهُمْ إِنّا جعلنا الشياطين أولياء للدين لا يُؤمون (١٠٠٠) أم الاعراف الشياطين أولياء للدين لا يُؤمون (١٠٠٠) أم الاعراف التعريف

بعالم الجن _ عالم الخفاء .

ولقد تدلنا الآيات الخمس السابقة التى تذكر الشيطان ـ منكرا ـ على الصفات اللصيقة بشخصه ، وهى أنه رجيم مارد مريد ، وكأن هذه هى الحد الأدنى لما يذم به أى شيطان ، فأما أكثر الصفات فقد ذكرتها الآيات الأخرى التى ورد فيها ذكر (الشيطان) معرفا بأداة التعريف ، أو مقترنا بصفات تزيد صورته جلاءً وقبحا .

غير أننا نقرر هنا أن متابعتنا للآيات الكريمة في ستة وخمسين موضعاً أكدت لنا أن المراد بالشيطان معرفاً ـ في أكثرها ـ هو أبليس . وقد أثبتت له النصوص الصفات التالية :

- فهو موسوس فتان عدو مبين يسلخ الإنسان من آيات ربه ، ويزيده تعرية ، (الأعراف) ،
 - وهو عدو مبين متأله يريد من بني آدم أن يعبدوه . (يس) .
- وهو نذل يخذل من يصادقه ، ولا تؤمن موالاته . (الفرقان / مريم).
 - وهو يدفع حزبه إلى سعير جهنم . (فاطر) .
 - وهو كذاب مخادع فاجر لا يخجل من كذبه . (طه) .
- وهو يزين الأعمال القبيحة لتبدو جميلة ، حتى يضل الأفراد والأمم (العنكبوت / النمل / النحل) .
- وهو يدفع إلى الجريمة والقتل بحكم عدائه للقاتل والمغتول (القصص).
- وهو كفور بنعمة ربه ، لا يملك تحقيق ما بعد به ، سوى الغرور (الإسراء) .

- وهو يدفع الناس ليكيد بعضهم لبعض ، حتى الإخوة . (يوسف) .
- وهو يلتى بالغفلة على العقول لتنسى ذكر الله . (يوسف / الكهف) .
- وهو يقلم القلوب ، ويغشى على العلقول ، ويضل عن ذكر الله عند الأكل . (الإنعام) .
 - وهو يقود الابناء على آثار آبائهم من أهل النار . (لقمان) .
- وهو يحتل فراغ النفوس ، وينزغ بوسوسته في العقول ، (فصلت) -
 - وهو يصد عن توحيد الله . (الزخرف) .
 - وهو منافق وقع ، يعد ثم يخلف في تبجع . (إبراهيم) .
- وهو يعد بالفقر ، ويأمر بالفحشاء والمنكر ، ويتخبط بنى آدم . (البقرة / النور) ،
- وهو وراء ظاهرة الهرب من الميدان ، وهو يزرع الضوف في نفوس أوليائه . (آل عمران) ،
- وهو وراء الموبقات كالخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، ليثير العداوة بين الناس . (المائدة) .
- وهو قرين السوء ، بعيد الإضلال ، ضعيف الكيد ، لا يعصم من اتباعه إلا فضل الله . (النساء) .
 - ولايته خسران ، ووعده غرور (ق) .
 - وهو فتنة لمرضى القلوب قساتها . (الحج) .
- وهو قائد المرتدين على أدبارهم، يسول لهم ارتدادهم. (محمد) .
- وهو يوقع الإنسان في الكفر ثم يتخلى عنه ويتجرأ منه بدعوى

الخوف من الله . (الحشر) .

- وهو وراء التناجى بالإثم والعدوان والمعاصى ، ووراء خسارة حزبه. (المجادلة) .

فهذا عن صفات (الشيطان) في القرآن ، سبواء أريد به (إبليس) بذاته ، أم كان المقصود جندياً من جنوده ، أو شرارة من ذريته ، وهي كما راينا صفات تغطى حياة بني آدم ، في كل أحبوالهم .. الدنيسوية والأخروية.. وقد رجمنا أن يكون المراد بالشيطان في هذه النصوص (إبليس) ما دام اللفظ معرفاً .

فأما عن ورود اللفظ مجموعاً: (شياطين) - فإن الصورة تختلف، لأن النشاط الشيطاني سوف يستخدم جماعات كثيرة في تنفيذ مخططاته على مستوى جماعى . ويمكن أن نميز في استعمال الكلمة ما بين معرف بأل ـ ومعرف بالإضافة .

ونبادر إلى تسجيل ملحظة هى أن استعمال الكلمة مجموعة جاء فى الوحى المكى فى خمسة عشر موضعاً ، وجاء فى الوحى المدنى فى ثلاثة مواضع .

فالشياطين في المرحلة المكية:

- أولياء للذين لا يؤمنون . (الأعراف) .
- وهم محشورون يوم القيامة مع المكذبين . (مريم) .
 - وهم يدفعون الكافرين إلى المعاصى . (مريم) .
- وهم يتنزلون على الكذابين ، لأن أكثرهم كاذبون . (الشعراء) ،
 - وهم يحاولون أن يستهووا المهندين . (الأنعام) .

- ومنهم شياطين من الإنس ، كما أن منهم شياطين من الجن. (الأنعام).
 - وهم وراء الجدل في شريعة الله . (الأنعام) ،
 - وهم إخوان المبذرين . (الإسراء) .
 - ولهم همزات ينبغي الاستعادة بالله منها . (المؤمنون) ،
 - وقد أعد الله لهم رجوماً في الدنيا من نجوم السماه . (ألملك) .

وفي المرحلة المدنية:

- هم وراء ظاهرة النفاق في مجتمع المدينة ، (البقرة) ،
- وهم كذلك وراء انتشار ظاهرة السحر الذي لا يعرف إلا كافر . (البقرة) .

ولا مجال لتصور إنحسار نشاطهم في المدينة ، فإن ما جاء في القرآن مسادق الدلالة على ما يراد به ، في كل مكان وفي كل زمان ، غير أن الصورتين اللتين سجلهما الوحي عن النشاط الشيطاني في المدينة لم يكن لهما مكان في مكة ، وإنما انتشرتا في المدينة ، وهما النفاق والسحر ، وكلاهما بسبب من الكفر .. بل هما أشد ألوان الكفر ، وما زالت المجتمعات الإسلامية تعج بمواكب المنافقين وأحزابهم وطوائفهم ، وما زالت دولة السحر قائمة ، حتى في معاقل الكبار ومضاجعهم .. تساندهم جماعات من المتاجرين بالدين والشعوذة ، أو من الأغبياء ، أدعياء العلم بالدين ، ولا حول ولا قبوة إلا بالله ، وهؤلاء هم (شياطين الإنس) الذين عادوا الأنبياء ، كما قال سبحانه : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والمنام الإنبي . (الله المنام الانبياء) كما قال سبحانه : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس

وحين يتقمص (الإنسان) وظيفة الشيطان ، فإنه يكون أخبث طينة ،

المناسع كيدا ، واعظم إفسادا من الجين وشياطينهم ، وقد شهد عصرنا المناسع كيدا ، واعظم إفسادا من شكل مفكرين ، وساسة وكلم ، وانتاب، وطواغيت و (هلافيت) - إن عبي التعبير - وقد جمعوا في وانتهم عشات الشيطان الجني ، وأغسافوا إليها أغبث عسفات الإنس ، وكانوا مزيم هن الشرور المرثية وغير المرثية .

كما شهد عصرنا من فنون هؤلاء الشياطين أهوالا تزيف صورة الحق. في المال بنعيا العقول ، ويفني الاعمال في متابعة والمغير ، .

نهم: شهد عصرنا ذاك الصراع من أجل اعتبال الفضاء، وشحنه المعرد بالموافع المتبال المتبال الفضاء، وشحنه الموافع الميشر الفجور بكل وسائل الإغراء والاستدراج ، تحت شعارات طاهرها فيه الرحمة ، وباطنها من قبله العزاب ، وهي شعارات (مصالح الجماهير) و (شدمة الشعب) و (عولة الثقافة) ، وغير ذاك من دعاوى الباطل ، ولغات (شياطين الإنس) ، ولمصد هو الجنس ، والجنس وحده ، حتى ينفل الإنسان عن غايت ، ويفقد اتصاله بهدفه ، ويبقى مجرد متغرج أبله على ألعاب الشياطين

أمسا التقدم ، والصفسارة ، والعدالة ، والكرامية ، والقدة ، والدين ، والقدم ، والقدوة ، والدين ، والقدوة ، والإعداد المواجهة المصتومة .. فكل ذلك كلام أجوف الا قسمة اله ، ولا مسفسمون .. يكفى أن نتام على أهازيج السلام ، وأن نستسلم لأصلام اليقتلة والنام ، بعيداً عن الصركة الناشطة ، والعمل الإيجابي ، والبناء الأخلاقي ..

إنها مراقص الشيطان ، ونوادي الإباسة ، ومسلاعب الجِنْة ، وقنوات الاتصال بين أعداء الله من الشياطين الملاعين ..

المنالة

فيغأثاا فالسمال هغ تالمات

على قدمة عدالة من قدم جبيال الألب ـ وقفت إلى جبول شجرة من الاشيال الميت إلى جبول شجرة من الاشيال الميت المي

كنت في حلة إلى سويسرا ، لأعالى ما ألم يعيني من قصور ، أشار مصور ، أشار الطباء العبالعنا من مصر .

و كانت رحلتي إلى جبال الألب وعداً من أحد الأصدقاء، صحبنا وهو يصعد بنا الإعبالي، ويجون المنعطفات الثعبانية الخطرة، حتى استقربنا على منطقة منبسمة، بني فوقها أحد العاهد الرياضية.

وبينا أنا ساهم في متابع الناظر الخلابة ، وما صنعته يد الإنسان من ما من مستمة الزائرين ـ وقعت عيني على ورقة شجرة تتقاذفها دفعات وساهم ممتمة الزائرين ـ وقعت عيني على ورقة شجرة تتقاذفها دفعات الفسائم اللطيغة ، فتجاها ترسم خطا متعرجا أثناء هبوطها إلى أسفا الوادى .. وقد تدور دورات حلزونية ، حسب اتجاه الرياح وسرعتها .

، ملا نقها الله ، نأسقا تايا نه فيا نشتاهما يندن في معال المعال الله في المنتهما يندن في المناقبة المناقبة الله المناقبة الله المناقبة الله المناقبة الله المناقبة ا

من الغييم لا يعلمها إلا هو ، ويعلم منا في البر والبحر ، وما من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .

قرأت الأية وعيني تتابع الروقة الطائرة عبر السافة الهاوية . وتجلت المقلي حقيقة الرحلة التي تقطعها الروقة في سقوطها .. إنها موضوع من موضوعات علم الله ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ !!

المثالث في الكون كله أسمي جلالا من علم الله ؟!

إن يناء الورقة تم بعلم الله وأصره ، ونسيج ها المحكم هو شرة هذا المان يناء الورقة تم بعلم المان في نسبة ها المحل المعلم ، وطريقيا ليس طريق المام ، وطريقيا ليس طريق السقوط إلى هاوية المدم (مع أن ذاك هو التطاهر) ، بل هو سقوط سوف يتبعه صعود ، فهي قد انفصلت للقيام بمهمة إليوة .

كل ما في البير والبحر ، وكل منا يحمله الشجير من ورق ، وما يعطى

النبات من عب ، وكل رطب ويابس - كل ذلك مدون في كتباب مبين ، كما عبرت الأين .

وقد عبر القران عن مصترى الارض في قوله تعالى ﴿ وقد فيها القراني الدائل عن أرابعة في فيها الارض في قوله تعالى ﴿ وقد في في أرابعة أيام ﴾ وأقوات الارض هي قبوام وجودها باعتبارها مينا يزود نفسه بنفسه ، ويضرى من جوفه كل موجود على سطحه ، ثم يستيعده إلى حين ، ويهيئه أبرطة أخرى ، هي في تقدير الله دورة أخرى من دورات الخاق الإلهي . فكل ذرة من ذرات الارض هي أس حسساب الاعتبالات إنسان أو حيوان أو عير ، أو عشر ، من كل مادق وجل من خاق الله

والبنسة الترابع مدون هذا الغلق هي أدق إحكاما من كل ما عرف البنسة التسانيان المن المعادي من الفاق هي أدق إلي المناز من إلياع حضاري .. أي : إن تكرين أي مظوق ، حتى أو كان وقت شبوة . هو في إحكام أدق ألف هرة من إحكام أي اغتراع الإنسان (طائرة كان أو حياره عالية مثلا) .

المن من وروية المنازي في الأية في الأية في الأية و المنازية المنازية المنازية المنازية المنازية و المنازية و

: بالة نيت قيعلا بيكت مها شا

شفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الاجساد

ورغم أنه لم يسدرك من مكونات الارض إلا وجود الاجساد، وهي ورغم أنه لم يسدرك من مكونات الارض إلا وجود الاجساد، وهي المياكل الأباء والإجداد، فإنه وقف بذلك على باب السر الإلهي – فعا أديم الإرغر إلا نرات تقصول إلى أناسي، أو صيوانات أو طيور، أو حشرات أو نبات، أو ما لا نعلم من غلق الله ، في عالم البكتريا ..

السرة الإرغب ذرة غامسة ، إل هي ذرات دائرة في مداراتها مهيأة السرة وي الارغب من باعد البيع مهيأة السرة المراهبي أو المراهبية أو أركبا أركبان أركبا أركبان أركبا المراهبية أركبان أرك

الما إنه المعاربة والمعاربة والمعاربة والمعاربة الله أنه المعاربة والمعاربة والمعاربة

مث لمهم مروره ميده المقيقة يُمان من كبرياء الإنسان وغروره مهما شط الما المراد الإبصار، فسسسسة أن الله قال: ﴿ ومنا أوتيتم من العلم إلا قليلانه .

تقرير مجمع البعوث الإسلامية

بسم الله الرحيم الميان الميان الميان الميان الميان المنان شخله مجموا الموجال ومجموا المخارة المناز المناذ المناز المناز المناز المناز المناذ المناذ

ينه إلمي زا تعابال إلى بيعمي لقيقا لعريض منساليا بالإلهال التنال المنافيا المنساليا التنال التنال التنال التنال التناسبية والتناسبية التناسبية ال

والنصوص القرائية في شائه - على كشرتها - لا تعالى التفاصيل التي التا إلى التالية ، كما لا تسدد السافات الرمية التي أصاطب بواعل ذلك النائم ، لذلك لا يمكن أصبح الميائم ، لذلك لا يمكن أن يفطع في بأو سام والمن أن يقطع في بأو تبيية بيا التلام ، وتبين أن يتلمه علمية نظرية أو تجربينية بنائم في دلالاتها مرتبة اليقين العلمي ،

واذلك كله فإن التفصيلات التي يتناولها الباحث بالمرض وإبداء الرأى، وترجيع احتمال على احتمال تكاد تاخل كلها في نطاق الفيير الذي

استأثر الله _ سبحانه _ بعلمه ..

وإذا كان الباحث ملتزما المنهج الذي حدده لنفسه ـ والذي سنشير إليه ـ قد توصل إلى عدد من الآراء التي استخرجها باستنطاقه النصوص القرآنية ـ كما يقول ـ فإن اللجنة لا تخوض في هذه الآراء ، مصوبة لها . أو مخطّئة وإنما حدد المجمع مهمتها في التثبت مما إذا كان الكتاب قد اشتمل على آراء مضالفة لنصوص قطعية الورود وقطعية الدلالة ، أو خالفت شيئا مما علم من الدين بالضرورة من ثوابت المعتقد الإسلامي أو ثوابت السريعة . لهذا فقد توجهت ـ وهي تقرأ الكتاب وتعيد قراءته ـ إلى مراحعة أمريناثنين:

أولهما: المنهج الذي جدده المؤلف لنفسه وسار عليه في بحثه .

الثانى: منضمون بعض الآراء التي انتهى إليها من حيث اتفاقها مع ثرابت المعتقد الإسلامي مما عرف من الدين بالضرورة ..

أما المنهج الذي اتبعه المؤلف فقد وصفه إجمالا في مقدمة الكتاب، حيث حدد هدف من بحثه بأنه محاولة لفهم النصوص التي جاءت في القرآن الكريم، وهي قطعية (نظنه يعني قطعية الورود)، تروى وقائع قحمة الخلق وأيضا للتوفيق بين التصوير القرآني والاتجاه العلمي في تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض، ولا حرج علينا في هذا ما دمنا نرعي قداسة النصوص المنزلة، وما دمنا لا نخالف معلوما من الدين بالضرورة، وما دمنا نقدم رؤية عقلية تحترم المنطق، وتستنطق اللغة من جديد، وتدعم إيمان المؤمنين بما ينطوى عليه كتاب الله من أسرار قد تكون خفيت عن بصائر ذوى التمييز، ثم أذن الله _ سبحانه _ لبعض السر أن ينكشف، وللرؤية أن تتجلى ..

ولا ترى اللجنة في هذا التوجه مأخذا تأخذه على الباحث ، م- م يلتزم به ، ولا يخرج عن ضوابطه .. وقد تبين للجنة أن ما يقصده البحث (بالاتجاه العلمي) في تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض ، إم هر احترام النشائج التي توصلت إليبها علوم الجيولوجيا وعلوم الإنسان (الانشروبولوجيا) والتي اعتمدت فيما وصلت إليه من نشائج عمر، دراسات مستفيضة ومتواصلة لطبقات الأرض وخواصها ، وللحدر بأت التي ترشد إلى ما عاش على كوكب الأرض من مخلوقات ، والتي نفه -على وجه التقريب - الآماد الفاصلة بين مراحل تطور الحياة على ظهر عده الكواكب ، ، وتفصيل ذلك وارد في الفصل الثاني من الكتاب ، و سي اختيار له المؤلف عنوان و النظرة العلمية م. وقيد لاحظت اللحِنة أن المؤلف بعد أن أورد أراء العلماء في العصور الجبولوجية وآمادها الزمنية لم بعثه الالتفات إلى نسبيتها ، وأن منا قال به العلماء في شائها لا يبلغ أبدا مرابة اليقين العلمي ، فهو يصفها جميعا (ص ٢٦) بأنها ، جملة من النظر ات المشتجرة والمتعارضة التي تركز كلها على تاريخ وجود الإنسان، وأعمل هذا المخلوق ، وهي كلها تؤكد نيسية المعلومات التي تيضيمنتها ، والمُلُّ واحدة منها أدلتها التي تستند إليها في تقرير جوانب التصور الرمعية والخلقية ، ولا ربب أن في كل منها شيئا من المقيقة ، وأشياء من المرال تصب في بحر الضلال» ، ويزيد الكاتب موقفه هذا وضوحا حين يعهد في نهاية الفصل الثاني من كتابه ص ٤٢ مقارنة بين دلالات العلم والالة القرآن ، فيقول : (لابد أن نسلم بأن معطيات العلم ليست حقائق مطافه في أغلب الأحيان ، بل هي رؤى نسبية ، ومن حيث إن العقل الذي بروسل إليه مرتهن بقيود من البيئة ، والزمان ، والقدرات الذاتية ، والدلائل

المناهة.. إنج .. أما القرآن – وهو الكلمة الإلهية في الخطاب ما بين السماء والأرض. أن .. أما القرآن – وهو الكلمة الإلهية في الخطاب ما بين الأعلى والأدنى – فلا شاء – يقدم العقل الارضور، أو ما بين الأعلى والأدنى – فلا شاء – يقدم العقل الإسائل المقابل المقابل في فهم المنصور، وحتى الأدناء في المور القدر الديني – متى الأن – من النصور مناقضا العلم، ولا سبيل إلى تحقيق اللقاء بينهما، ونحن نقرل النصوص مناقضا العلم، ولا سبيل إلى تحقيق اللقاء بينهما، ونحن نقرل بادع، في بدء – أن التناقض بين القرآن وما قرصل إلياء العلم من جاء أن العلم الم يستقر مقابلة نهائية مستصيل، وإنما يأتى التناقض من جاء أن العلم الم بستقر بعد على بن الصقيقة الكلمة، بل ما زال يدور في إطار النظريات الطنية بعد على بن إلى جانب أن التناقض قد يأتى من ضحف التفكير الذي تتم به معالجة الأفكال...

وترى اللجنة أن هذا النهق سليم لا عرق فيه ولا مأخذ عليه ، وأنه هو وترى الجنة إلى هذا النوى سار عليا علم الامة الثقات في سعيهم - عبر العصور عبن النهق النوع سار عليه علماء الامة الثقات في سعيهم - عبر العصورا الوفي الله جبهال الخيات المؤلف المؤلفة المؤلفة المؤلفة أحد ، بل عدوا عبا المعلق معتقدة في رد (عوادى المؤلفة المؤل

ام ما انتهى إليه المؤلف في موضوع بحثه فيتلخص فيما يلي :-الم الميان على منه الأرض قد سبقت خاق الإنسان بآماد طوية

۲ – أن الإنسان في كرمه الله مارة مالا عن السجود له هو امتداد لم المناه المناه من المناه من المناه من المناه منه المناه في المناه في المناه منه المناه في المناه منه المناه في ا

- والارتقاء ـ علقة في سلسة تطور كانت القرية فيها حلقة سابقة. ثم تطورت إلى أن صدرت (الإنسار)) الذي فوفه .
- ٣ وأن الله تعللي خلق (البشر) من طين .. ولكن ليس في آيات القرآن ما يقطع بأن آدم عليه السلام قد خلق مباشرة من ذلك الطين .. وأن الاستعمال القرآني لكلمة (بشر) يدل على كائن سابق في الزمان وفي الكيف على (الإنسان) .
- 3 وأنه لا علجة إلى تعديد عقيقة وطبيعة الطين الذي غلق عنه البشر ، فالقرآن يعبر عنه تارة (بالتراب) وتارة بانه (طين لازب) وثالثة أخرى بأنه (مماصال كالفغار) أو أنه (مماصال من حما مسنون) .
- ٥ أن الله تعلق قد تتنان البشر الخلوق عن طين فسواه وصوره ، وأن هذه التسرية لا يلزم أن تكون قد تعت على الغور في أعقاب الغول ، في الخلق والتصوير مرحلتان في عمر البشرية .. الخوا ، بإر إن الخلق ملايين من السنين ، والتصوير هنا بقابل العهما استغرقتا بضعة ملايين عن السنين ، والتصوير هنا بقابل التسوية في صواحم أخرى ، مع ملاحظة استعمال الاداة (ثم)

ن ويبعين المؤلف رأيه في قصة الخلارة للها بقوله : إن الإنسان يخري من المجال بها إذا المنسل يخري من المشار ، وأنه (قبل التسوية) إما يكن المخلول البشب ، وأنه (قبل التسوية) أما يكن إنسابا وي عبد المغلا المنسلة وي أن المنا المنسلة وي أن المنا المنسلة الم

وفي سياق شرحه لرأيه يشير المؤلف إلى عدد من الأيات القرآنية التي يراها تشهد (لهذا الرأى) .. من ذلك إشارته إلى قبوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ [المؤمنون : ٢٢] .. ويقبول في

county included .

بيان وجه استمال واله بها : وكأن الأية تدفع من العمال إدماع المستمال في في المعارية المناسلية والمعارية والمناسلية والمنا

: ١٩ مع ما يه من الله على الله على ١٩ :

« فسطال الإنسسان بدأ من طين ، أي : في شكل مسروق بشرى ، ثم استضري الله منه نسلا (من سلالة من ماه صهين) ثم كانت التسوية استضري بأ كان (الإنسان) هو الشمرة في نهاية الطاف .. عبر تلكم الإطوار التاريخية السميقة القيقاء » ..

مستدلا باكات في سياق هذا الشرح عمل يسميه (مراهل السرية) ميسميه (مراهل السرية بالمرية بالمرية بالمرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية من من من المدرورة لما يات لا براها في من من المدرورة لما يات من المدرورة بالمرية وفغي بالمدرورة بالمرية وفغي المدرورة بالمرية وفغي به من المدرورة بالمرية إلى المدرورة بالمرية المرية المرية المرية المدرورة بالمرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية المرية بالمرية با

أما في غصوص آدم عليه السلام - وعلاقت بما كان قبله من

الخاروات .. فيتوار المؤلف إن يستطيع أن يؤرد – مع علما الإنسان ألى ألى ألى المارة المناه أن المناور المناه أن المناور المناه أن المناور عنور على المناور المنا

ويضيف المؤلف (ه. ٥) : إن ضلق الإنسان تم عبر ثلاث مراها وليضا في المؤلف (ه. ه. ه. واعل في المؤلف المؤلف

ولهذا لا ترى اللجنة فيما كتبه المؤلف محاولة للترفيق بين العلم والدين بقدر ما ترى فيه اجتهادا منه في فيهم النص القرآني ، وهو اجتهاد لا ترافق اللجنة المؤلف على بعض أجزائه ، حيث لا يكفي ما ساقه في هذا التدليل ليقرر النتائج التي انتهى إليها ، وإذا كانت اللجنة قد حددت مهمتها على ما سبق - بأنها بيان ما إذا كان المؤلف قد تجاوز الحد في تأويلاته للنصوص القرآنية .. تجاوزا يضالف به ثوابت العقيدة أو يتناقض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فإن الذي تنتهى إليه اللجنة أن المؤلف لم يقم في مثل تلك المخالفة .

وإن كان ذلك لا يعنى أن اللجنة تقره على كثير من التأويلات التى أول بها بعض آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وعلى الأخص ما أشار إليه من أن آدم _ عليه السلام _ يمكن أن يكون قد خلق من أبويان ، وما انتهى إليه في شأن العلاقة بين البشر والإنسان ، كما أنها لا تقره على بعض التعبيرات التى استخدمها في سياق تدليله ، والتي ترى اللجنة أنها غير لائقة في وصف المشيئة الإلهية في أمر الخلق ..

وتود اللجنة في ختام تقريرها أن تنبه إلى أمور ثلاثة:

أولاً: أن مجمع البحوث الإسلامية لا يحجر على اجتهاد المجتهدين أو فكر الفكرين ! إذ هو مجمع للبحث العلمى ، يشجع الاجتهاد ، ويحرص على ضبط مناهجه ، ويمارس ذلك الاجتهاد بما يقدمه من دراسات وأبحاث لكبار العلماء المتخصصين في العلوم الإسلامية على اختلافها .

ثانياً: يؤمن المجمع بحاجة هذا الجيل من المسلمين إلى متابعة الاجتهاد وتقليب النظر في الآفاق وفي الأنفس، وإلى مواكبة التطورات

العلمية الهائلة التى غيرت اساليب معبشة الناس وأوضاعهم خلال القرن الذى توشك (الإنسانية) أن تودعه ، وذلك باجتهاد متصل وفقه متجدد ، وبصر دقيق بحاجات الناس التى صارت تتغير بسرعة هائلة (بنغير الأمكنة والازمئة والاحوال) ، على أن يتم ذلك كله بطبيعة الحال من خلال منهج علمى أصولى دقيق ، لا يضالف فيه الباحث شيئا من ثوابت العقيدة أو الشريعة ، ولا يميل مهما كانت البواعث عن قول الحق في تجرد وصدق وشجاعة .

ثالثاً: يوصى الجمع الباحثين – دون حجر على حريتهم في اختيار ما يبحثون امره وما يكتبون فيه – أن يلاحظوا حاجة الأمة إلى علم العلماء واجتهاد المجتهدين لمواجهة المساكل الكبرى التي تواجه المسلمين – أفرادا وجماعات وشعربا – في عصر سقوط الحواجز بين الشعوب ، وتوجه أبناء الحضارات المختلفة إلى التعارف والستواصل ، وفي كل ما يتعرض له الإسلام والمسلمون من سوء فهم بسوء صعاملة في كثير من أقطار الأرض ، وأن يتجنبوا – ما وسعهم – شغل عامة الناس بقضايا قد تكون لها – على أهميتها القليلة – آثار جانبية غير نافيعة تشغل الناس عما ينبغي أن يتوجهوا إليه ، أو توقعهم في حيرة وسوء فهم وجدال طويل فيما لا ينفعهم ..

كما يوصى المجمع الباحثين في أمور العقيدة والشريعة حضوصا حين يقتضيهم البحث تناول آيات الكتاب الكريم بالتفسير أو التاويل - أن يتخيروا لآرائهم المصطلحات والتعبيرات التي تناسب مقام الوقوف

الخاشع بين يدى كتاب الله ، حتى لا يتوهم قارىء أو مستمع أن استخدام بعض المصطلحات الشائعة والجارية بين الناس ينطوى على مساس بقدسية القرآن الكريم ..

والله تعالى نسسال أن يعصمنا من الزلل ، وأن يعيننا على حمل أمانة العلم بحقها ، وهو - سبحانه - يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

صادق مجلس مجمع البحوث الإسلامية على هذا التقرير بصيغته هذه في جلسته يوم الخميس ٢٢ من ربيع الاخر ١٤٢٠ هـ الموافق ٥ من أغسطس ١٩٩٩م التي عقدت برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية تحريرا في : - ١٤٢٠/٤/١٥ م

(سامي محمد متولى الشعراوي)

فهرس الكتاب

COLUM	الم	
		القصل الثامن:
1.7	**************************************	الطريق إلى الجنة
1-9	\$100 CE OCE AND EXPERIENCE AND	البرهان اللغوى
		الغصل التاسع :
110	***************************************	برهان التكرار _ الإنسان مرة أخرى
14.	#14/49/48/06/2016/06/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4/4	آدم أبو الإنسان
		الباب الثاني :
170	$~~ + 6.49 \pm 0.000 \pm 0.0000 \pm 0.00000 \pm 0.00000000$	وقائع القصة المتعادة
		الفصل الأول :
177		البشر واللغة استستستستستستستستستستستستست
		القصل الثاني :
177		الإنسان والملائكة سمسمسمسمسمس
171	$w_{ij} = \frac{1}{2} \left($	علاقة الإنسان بالملائكة
		الفصيل الثالث :
127		السجود للنبى الإنسان سيسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسس
		القصل الرابع:
189		موقف إبليس من السجود مسسسسسسس
		القصل الخامس :
177	Market berryanian and the control of the latest states and and	بين إبليس وآدم في الجنة
		القصل السادس :
171	$f_{ijkk}(a,b) = \frac{1}{2} (a,b) + \frac{1}{2} (a,b$	اللغة والاسماء القديمة
		الله ــ الملائكة ــ آدم
INI		إبليس ـ الشيطان
171		الق
Wr.		W.XI

			<u>.</u>	الصا	421
من العليمة الثانية المناسبة ال	الطبعة الثانية	tandi tagi dadi sair Tayah (1991 baga kapat 1940) banda dadi jaga yang sair dalah sa masaran sair lisa kasil s			0
.مة الطبعة الأولى	الطبعة الأولى	64 - 444 \$40 \$40 \$ \$2 \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$ \$	********************************	4	19
پ الأول :	الأول:				
صة بين العقل والنقل	بين العقل والنقا	as a series have been assessed from any result found and a series found and decis to d and d	The second section of the sect	e .	Ye
صل الأول :	، الأول :				
مة والإسرائيليات	والإسرائيليات		71010 VI (11010) 11110 VI (11010) 11110 (11010) 11110 (11010)	1	TV
صل الثاني :	ر الثاني :				
I AMAR AND	ة العلمية	h) P O } h P D D H H D H H D H D H D D			71
سان بين العلم والقرآن	ان بين العلم والق			1 -	29
صل الثالث :	، الثالث :				
رة القدماء إلى وجود الخليقة مستسمده والمستعدد المتعدد	القدماء إلى وجو	DOUGH DO	$) \ both \ thin and \ d_i h \ that \ a ward \ as \ d \ distributed \ and \ distributed \ d \ as \ a. \ b. \ d_i \ prov's \ readjoint \ prov's \ p$		01
مثل الرابع :	ر الرابع :				
يث القرآن	، القرآن			-	OV
صل الخامس :	ل الخامس :				
؟: إعلام اللائكة	إعلام الملائكة "			-	77
ياً : خلق البشر من طين	: خلق البشر من	ين		(m)	٧.
تعمالات القدماء لكلمة (بشر)	مالات القدماء لكا	ة (بشر)	***************************************	- 140	٧٤
صل السادس :	ل السادس :				
لاً : حقيقة الطين	حقيقة الطين -		***************************************	190	VV
ياً : الخَلْق النفسي	: الخَلْق النفسي		*****	-1640	٨٣
صل السايع :	ل السابع :				
شر والإنسان	والإنسان	TI-TITLE OF THE PERSON OF THE BEST OF THE PERSON OF THE PE	interest in the state of the st	(to-	Ao
رآن الکی	ن الكي		***************************************		9.
نسان يخرج من البشر	ان يخرج من الب		PRETATION	- Ores	97
رأن المدنى	ن للدنى	th to the first of the state of	***************************************		9.4

الصفحة المرابعيس المرابعي

رقم الإيداع ۲۲۰۱/۱۸۲۲۲ الترقيم الدولي 2 - 1031 - 28 - 977

مطابع أخبار البوم ٦ أكتوبر

WWW.AL-MOSTAFA.COM